
سميره ارميا
سلسلة مفاتيح
صديقتى .... تسعة
الجزء الأول
أسندنى فى ضعفى
قصص
الطبعة الأولى فبراير 2018

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : أسندنى في ضعفى

المؤلِّف : سميره ارميا

التصنيف : قصص (سلسلة مفاتيح – الجزء الأول)

رقم الإيداع : 5093 - 2018

الترقيم الدولى :ISBN978 884 984 652 3

عدد الصفحات : 154 صفحة

رقم الإصدار الداخلي:141

تاريخ الإصدار الداخلي: فبراير 2018 (الطبعة الأولى)

تصميم الغلاف و التنسيق: دار النيل و الفرات للنشر و التوزيع

المراجعة والتدقيق : خالد خضر

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

سجل تجارى : 13242

بطاقة ضريبية : 165-5-00031-572-01-35

رقم التسجيل : 544-662-202 2017-7

E-mail: alnile waalforat@yahoo.com

twitter: النيل والفرات

youtube: alnile waalforat@yahoo.com

facebook: alnile wa alforat

هاتف : 01202541192 - 01116202218 - 01011256943

الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة ١٣ - عقار ٣٠٤ - الدور الثانى - أمام سنتر ١٣

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

ALNILE WAALFORAT

أسسها الشاعر ناجي عبد المنعم

سلسلة مفاتيح

صديقتي (.................تسعة)

الجزء الأول

أسندني في ضعفي

بقلم

سميره ارميا

2015/7/23

المؤلفة فى سطور



- ولدت بمحافظة الشرقية عام 1973.
- حصلت على بكالوريوس تكنولوجيا تعليم و تربية عام1995.
- حصلت على دبلوم خاص عام 1997.
-حصلت على بكالوريوس العلوم اللاهوتية عام 2003.
- عملت بوزارة التربية والتعليم و تدرجت من أخصائي تكنولوجيا تعليم إلى رئيس قسم تطوير تكنولوجي بإدارة القنطرة شرق التعليمية - محافظة الإسماعيلية

صدر لها : ديوان شعراء في بحر النغم (ديوان مشترك)-
صديقتى تسعة: مختارة (قصص)
لها تحت الطبع :
مؤلفات كثيرة

تنبيه

تم ذكر أكثر من مائة نموذج من شخصيات واقعية . هذه النماذج لا تنطبق على أي شخص بعينه من عائلتي أو معارفي أو أقاربي أو أصداقائي أو زملاء في العمل . و أي تطابق من شخصيات القصة لشخصيات حقيقية سيكون على سبيل المصادفة . لأن نماذج الشخصيات حقيقية أما الشخصيات نفسها غير حقيقة و من خيال المؤلفة. و كان القصد تجميع أكبر عدد من النماذج و المواقف الحياتية لتكون هذه القصة قاعدة عريضة للإبداع.

تحياتي

المؤلفة

المُتعة الجمالية فى العمل الإبداعى

تتمثل المتعة الجمالية في أي عمل إبداعي في ثلاث نقاط .. الأولى : الخلق و الإبداع .. و الثانية الإدراك الحسي .. و الثالثة : التطهير .. و تكمن المتعة الجمالية في النقطة الأولى في صياغة العمل كما لو كان عملا خاصا .. و في النقطة الثانية تكمن في تحديد إدراك المرء بالواقع .. أما النقطة الثالثة تكمن المتعة في القدرة علي تغيير و تحرير ذهن المتلقى .... و لن نذهب بعيدا .. لكننا سننقل أيضا ماقاله د. سليمان العطار في تقديم رواية " مائة عام من العزلة " للروائي العالمي جابريل جارثيا ماركيز .. حيث قال إن المتعة أن تعيش في جو جمالي يخنق شباك الخداع و التنكر و التعثر لحساب الحقيقة ... إن الحياة و الرواية توأمان فإحذر خداع الحياة و خداع الرواية ....

هذا ماتشعه لنا فصول تلك الرواية للكاتبة سميره ارميا .. فكن حصيفا و أنت تدخل إلى السرد الصادق لتقتنص منه متعتك.

أحمد إسماعيل إسماعيل

مقدمة الكاتبة

يسعدُني أن أقدِّمَ لكم باكورةَ أعمالي ، و أدعو المولى أن تنالَ شرفَ إعجابِكم.
هذه القِصةُ - ليست قصةً بالطريقة التلقيدية –
بل دعوة للابتكار و الإبداعِ ؛ لميلاد طريقة جديدة للسرد.
و كما أن الشعرَ تطور حديثا ، فلابد للنثر أن يتطور (فالشعرُ و النثر صنوانٌ لأصل واحد).
بأن تقف القصة مثلا عند العقدة و القارئ يحل العقدة في خياله أو كتابةً ، و إن حدث ذلك ، نكون قد نجحنا في إضافة مُبدعٍ جديد لأدبِنا المعاصر ، قد يكون هو نفسه غيرَ ملتفتٍ إلى موهبته.
و طريقةِ السردِ ، هي إبتكارٌ أيضا ، فهي مجموعةٌ من أنواعٍ عدة .
كما أنني تعمدتُ بساطةَ الكلماتِ ؛ لجذبِ أكبرِ عددٍ للقراءة.
و شخصياتُ هذه القصةِ ، مفاتيحٌ لقصصٍ أخرى كثيرةٍ و متنوعةٍ ، و الجميعُ مدعو إلى حفل الإبداعِ العظيم هذا. كما أنها غيرُ مصنفةٍ .
لعل قصتي هذه تكون بكر بينَ أعمال كثُر للإبداع .
التوفيقُ من عنده. الشهادة تُؤخذ من أقلامكم.
دمتم أقلامًا مبدعًة و ضمائرَ حية.

تحياتي

سميره ارميا

وليدةٌ تحبو في عالم الأدبِ ، تنتظرُ من يمسكُ يدَها من مرشدين راشدين أقوياء.

الباب الأول
الفصل الأول
تعارف

إسمي ماريز:
في نهاية العِقدِ السابعِ من عمري ، ضاعت مني أشياءٌ كثيرةٌ ، أهمها عمري و ذاكرتي..
نشأتُ في المدينةِ الباسلة -السويس لأب مهندس و أم مهندسة - يعملان بإحدى شركاتِ التعدين الكبرى بالسويس..و هما بالأساسِ من محافظة الشرقية. تخرجت فى كلية الهندسةِ – بورسعيد - منذ الكثيييير من السنوات .. لا أعلمُ لماذا تذكَّرتُ فجأةً ، صديقةً لي ، تعرفتُ عليها في بيت الكنيسة - الذي كان به أكثرُ من أربعين فتاةٍ تسكن بيت ضيافةِ الطالبات؟!.
على الرغم من اضطراب ذاكرتي ، إلا أنني..أتذكرُ أولَ يومٍ جيدا.. كان بيتُ الكنيسة قديمًا .. تفوحُ منه رائحةُ الزمنِ العتيق حوائطُه نادرًا ما يوجد عليها صور قديسين ، و مع ذلك تحسن أنَ سيرتَهم العطرة َمكتوبةٌ على تلك الحوائط. شئ ما غامضٌ بهذا البيت.. رغم ضوضاءِ البناتِ ، إلا أنك تحسُ بهدوء المكانِ ، شئٌ ما به تضاد ، لا تفهمُ ما هو ، رائحتُه تشبه رائحة بيتٍ عشتُ فيه ثمانين سنة و أكثر. به رائحةُ أبيك و أمِك ، به هدوءُ أبيك و نشاطُ أمَّك و ضوضاءُ أخوتك..به كل شئ
كنت منزعجةً و أحاولُ أن أخفي إنزعاجي و أثبتُ لوالدي مدى قوتي..
و الّذي لم يرزقهما الله غيري.. اهتما كثيرا بتربيتي و تنشئتي تنشئة خاصة .. و لك أن تتخيل ، أن الأبَّ و الأم لا يوجد شاغلٌ لديهما ، إلا ابنةً و حيدة مع راتب جيدٍ و عيشةٍ رغدة و مستو علمي و إجتماعي و ثقافةٍ دينية و تدين لا بأس بهم. نعود لأول يوم لي في بيت الضيافة .
كانت هناك فتاة سمراءٌ نحيفة ملابسهُا بسيطة جداً ، تنم عن ضيق الحال .
أول ما رأتها عيني تمنيت أن لا تكلمني ، لكنها جاءت إلى و سألتني

الفتاة: ما اسمك؟
ماريز: ماريز (أجبتُ باشمئزاز ، و لكنني حاولت ألا أظهره قدرَ الإمكانِ..)
و لكن كلماتَها التي إنسابت من فمِها بعد ذلك كانت معزيةً جداً لي.
قالت لي:
" أهلا بكِ ، بالطبع بناتُ كليات الهندسة قويةٌ ، و لسن كالباقيات اللائي يبكين و ينُحن كالأطفال"
و أخبرتني: أنني شخصيةٌ قوية ..و كلمات أخرى كثيرة..
بعدها أحسستُ أني يافعةٌ قادرةٌ على تحمل المسئولية ، و أن هذه المرة العشرين التي ابتعد فيها عن والديّ ، مع أنها االمرة الأولي ، و دخلتُ حجرتي ، و أنا مصممةٌ على ألا أفشل.
و فوجئت بصديقتي ، و زميلةُ الحجرة أن لديها نفسَ الشعور ، مع أنها عند وصولها كانت منهارةً.
و في اليوم التالي ، وجدتُ تلك الصبيةَ تجلسُ على السُّلمِ في إستقبال الفتياتِ الجدد ، و تقوم بنفس المهمة .
و كانت تنجحُ بطريقة عجيبةٍ في طمأنت البناتِ المنهارات ..و خاصة بنات الصعيد..
سألتُها :لماذا تفعلين ذلك ؟
أجابت: البناتُ اللائي كنَّ يقُمن بهذه المهمةِ ، أنهوا دراساتَهن العام الماضي ، و أنها عوملت بنفس المعاملةِ في العام الماضي ، حيث إنها كانت تسبقني بعام ، لم أهتم ، و لم أسألها عن اسمها أو دراستها.
و بعد توافدِ جميعِ الفتيات ، بدأتْ طقوسُ البيتِ الصارمة..
-لا خروجَ قبلَ الساعةِ الثامنة صباحا ، و لا تأخيرَ بعد الثامنة مساءً.
- يوجد توقيعٌ بدفتر الصباحِ ، مع تحديد ساعةِ الخروج بالدقيقة و وجهةِ الخروجِ ، و كذلك عند العودَةِ التوقيع بدفتر العودة ..
- يوجدَ إقراراتٌ عند السفر ، مع تحديد التاريخِ و الساعةِ و الجهة ، و كذلك عند العودةِ إلى البيت..
- ممنوع الغناءُ أو الرقص.

- ممنوع الملابسُ الغير محتشمة ، و إذا أبدت – طاسوني- (الأختِ المسئولة عن البيت ، و- طاسوني - كلمة قبطية معاناها أختي) ملاحظةً على الملبس لا يُعاد لبسة مرة ثانية.

- ممنوع النوم بجوار أحدٍ ، بل كلٌ تنام في سريرها.

- تبليغ طاسوني بمواعيدِ المحاضرات ، بعدَ الثامنة مساءً.

- لا حِجة للغياب عن إجتماع الصلاة .

و في إجتماع الصلاةِ ، تُرنَم مجموعةُ من الترانيم ، ثم صلاةُ الغروب و النوم ، مع تأملٍ ، و صلاةٌ إرتجالية (صلاة حرة تُقال من القلب ، حيث الصلواتِ مكتوبةً في كتب خاصة) ، ثم دراسة في الكتاب المقدس ، و تأمل في الجزء الذي يُقرأ..

و مع أول إجتماعِ صلاة ، أشارت طاسوني إلى إحدى الفتيات باختيار الترانيم ، و بعد الانتهاء من الترانيم ، أشارت إلى أخرى تقودُ الصلاة (توزع قراءاتِ المزامير ، و القراءات الأخرى على الفتيات الحاضرات ، و منها ما يُقال سرًا و منها ما يُقال جهرا ، و منها ما يُقال جماعي ، و منها ما يقال فردي). و بعد أنتهاء الصلاة أشارت إلى تلك الفتاةِ لتقرأ الكتاب َالمقدس و تقوم بالشرح و التفسير.

و عندها صُعقتُ من هذه...ذات الرداء البسيط.

و مع ذلك ، أنا لا أود مصادقتِها و لو كانت آخر فتاة..

لكن مع انتهاء فقرة الكتاب المقدس ، وجدت نفسي لا أملكُ إلا احترامَها..

و في اليوم الثاني : وجدتُ وجهها أبيضا مع أنها سمراء !!.

و ملابسَها أنيقة رغم بساطتها ، رغم أنها لم تتغير لا في وجهها و لا في ملابسها.. أحسستها أختي رغم أنني لم أجرب هذا الأحساسَ من قبل ، و عرِفت أنها في كلية التربية - قسم عملي منهك.

و اسمها.....

ما رأيُك عزيزي/عزيزتي أن تسميها أنتَ

و سوف أضع أنا بدلا من اسمها الذي اخترتهُ أنتَ صورة أو كناية أو رقم و سأترك فراغا ، لتكتبَ الاسم فيه جهزَ قلما و هيا نبدأ.

ما رأيك لو اخترتُ رقم ؟
مارأيك برقم (تسعة)؟
لماذا اخترت (تسعة)؟!
لأسباب كثيرة منها: لأنه أكبر رقم مفرد.
فهي كانت دائما وحيدة ، و لكنها كانت دائما كبيرة ، أكبر من كل البنات و أحيانا أكبر من الخادمات المكرسات – (المكرسة هي راهبة احتفظت بوظيفتها ، و تتعامل مع المجتمع و تسكن ديرا للراهبات و تلتزم بخدمة المجتمع) .
عجبتُ لثقة – طاسوني- الكبيرة بها ، و عجبت أكثر أنها كانت تسشيرُها في بعض الأمور الكبيرة التي تخص البناتِ. بل و هي الوحيدة بين البنات التي تستطيع أن تسال طاسوني عن أي أمر ما ، أو تطلب طلبا يخص أي فتاةٍ غيرها ، أو تطلب استفسارًا عن أي شئ فتُجاب. كانت علاقتُها بالجميع علاقة احترام..
كانت الوحيدة في بيت الضيافةِ التي لها علاقاتٌ جيدة مع الأغنياء و الفقراء..
الوحيدة التي لا يُسرق منها شئ ، و عندما سألوا إحدى الفتيات اللائي كنَّ يمددن أيديهن على أشياء البنات..
لماذا (.................تسعة) لا يضيع لها شئ؟!
أجابت الفتاة لأنها لا تردُ طلبَ الطالبِ ، و إن كان رغيفَ خبزٍ وحيدٍ عندها ، تجود به.
و لم تكن غير محبوبةٍ إلا من فتاتين اثنتين سنعود لهما لاحقا..
المهم ...بعد انتهاء أولِ إجتماعِ صلاة ، قاومتُ نفسي حتي لا أكلمها لكن مع نهاية الأسبوع الأولِ ، ذهبت إلى (.................تسعة) و سألتها
ماريز: ما اسمك ثلاثي؟
(.................تسعة):(.................تسعة) بنت يوسف بنت سليمان.
ماريز : في أي كلية يا بنت يوسف سليمان ؟
(.................تسعة): في الفرقه الثانية كلية التربية.
ماريز :من أين أنتِ؟

(.................تسعة): محافظة الشرقية.
ماريز :ماذا يعمل و الدُك؟
(.................تسعة): فلاح
ماريز:فلاح ؟!!! فلاح؟!!! فلاح؟!!!
(.................تسعة): نعم فلاح؟؟!!!!
ماريز : ماذا يعني؟!!!
(.................تسعة): ألا تعرفين ... فلاح ؟
فلاح تعني شخصٌ يملك قطعةَ أرضٍ يزرعها.
ماريز : هل تقولين الصدق؟!
(.................تسعة): نعم : أبي فلاح و أنا مثله فلاحة.
ماريز : أعرف عنك الجِدَّ..
(.................تسعة): و أنا لا أعرف إلا الجِد ، أنا إلى الآن مهنتي الفلاحةُ مثل أبي.
ماريز :هل تقصدين أنك تعملين في الأرض كما نري في أفلام السينما ؟!
(.................تسعة): نعم و أجيدُ كلَّ أعمالِ الفلاحة ، و قمت بها جميعا.
ماريز :لكن يديك ناعمتين ، و قدميك و كعبيكي لا يدلان على ذلك !
(.................تسعة): لأني أهتم بيدي ، و ألبس حذاء أكبر من مقاسي برقمين ، عند الذهاب للحقل .. و عند حلولِ الشتاء ، ستزول آثارُ الشمس من وجهي.
استأذنتْ ، و تركتني و رأسي يدور دوران الكرةِ الأرضية حول نفسها..
هل يوجد بنات يعملن في الحقول ، و يكملن تعليمهَن ...كيف؟!!
و ما القصة؟!!
جرَيتُ خلفَها و رجوتُها ..أن تحكي قصتها..
قالت مبتسمةً :على الأقلِ أنا أعمل في حقل أبي..
يوجد عمالُ تراحيلٍ يسافرون من بلد إلى أخرى ، كي يعملوا في الفلاحة ، أنا في بيتي معززةٌ مكرمة.
أجبت: مثل فيلم الحرام....؟

أجابت نعم.
قلت لها : احكي لي قصتَك من فضلك؟
أجابت : ليس الآن..
و مر أسبوعٌ ، خلف أسبوعٍ ، حتي دخل الشتاءُ..
و أنا ألحُ عليها كى تحكي لي قصتَها ، إلى أن جاء يومٌ مُنعنا من الخروج من البيت ، بسبب سوء الأحوالِ الجوية ، و جاءت الفرصةُ لأسمعَ قصتها ، فدعوتها لحجرتي ، و طلبت أن أسمع القصة..
(..................تسعة): من أين أبدا؟
ماريز: من يوم الميلاد.

" أسنِدني فأخلص ، و أراعي فرائضك دائماً"

الباب الأول
الفصل الثاني
صغيرة في بيت أبي

أنا رقم إحدى عشَر بين أخوتي ، و الأخيرةُ ، مات اثنان من إخوتي ، فأصبحت رقمَ (تسعة).
أنجب أبي من زوجته الأولى : ثلاثَ بنات.. و من الثانية : خمسة أولاد و أنا الأخيرة.
أخواتي البنات يكبرنني بكثير ، حتي أنهن من عمر أمي ، تزوجن في بلاد بعيدة ، أحدهن بالقاهرة ، و لا أراهن إلا مرةُ أو مرتين كل عام.. و في الأعياد و المناسبات..
يحبونني كثيرا ، لكن أزواجهن جميعن أحوالهم ضيعفة ، و نحن لا نحب أن نثقل عليهن . أذهب كل عامٍ في الأعياد لنزورهن ، و نعيطهن ما يُسمي بالعيد.
ماريز:و ما العيد هذا؟!
(..................تسعة): العيد هذا : زادٌ ، لحوم ، بقول ، خزين للبيت ، فاكهة و ما شابه.
ماريز: و إخوتك الأشقاء..؟
(..................تسعة): أعيش معهم ، اثنين متزوجين معنا في بيت أبي ، و الثلاثة الآخرين تركوا القرية .. أنهوا تعليمهم و أخذوا و ظفائهم في القاهرة.
ماريز: ماذا يعملون؟!
(..................تسعة): معظمهم هندسة.
ماريز: معظمهم؟!!

(................تسعة): نعم نسيتُ ..أبناء أعمامي مع أخوتي كنت ، أسكن في بيت عائلة.
ماريز: يعني؟!
(.................تسعة): لي ستة أعمام ، كلٌ منهم له متوسط ستة أبناء ، كنا نعيش في نفس البيت ثم بيوت متجاورة ، و أنا أصغرُ أعضاءِ تلك العائلة.
ماريز: فهمت ، و ماذا عن باقي الوظائف ؟!
(.................تسعة): ضباط ، أطباء ، مدرسون و باقي الوظائف.
ماريز: نظرت إليها نظرة فهمتها جيدا
(.................تسعة): ملابسي....!!
أوماتُ برأسي بالإيجاب ، فأخذتني إلى حجرتها ، و فتحت خزانتَها ، فإذ بي بمجموعةٍ من الملابس من أرقي المحلات.
تعجبتُ جداً ..
ماريز: لماذا تلبسين نفسَ الملابسِ لمدة أسبوع ، و لا تلبسين من هذه؟!
(........... تسعة) : لأن هذه الملابس لست ملابسي.
ماريز: نعم و من أين تلك الملابس؟!
(.................تسعة): هذه قصة طويلة.
ماريز: و اليوم طويل ، و لن نخرج اليوم اشجني..
(.................تسعة): سأبدأ بالبيت ، ثم القرية ، ثم قصتي..
ماريز: موافقة.
(.................تسعة): نشأتُ ببيت جَدي ، البيت كبيرٌ ، و به غرف كثيرةٌ.. و كل من به يعمل كخلية النحل..
بيت جَدِّي - مبنيّ من الطين ، و السقفُ من أعواد الخشبِ المغطي بقش الأرز ، و قشُ الذرة و أعواد القطن.. به دواجنٌ و مواش..
روائح بيتِنا روائحٌ كلها حلوة...
فيه رائحة الطبخ و السمن البلدي ، و رائحة اللبنِ الطازج ، رائحة الطيورِ و الأنعام و الخبز الطازج ، و رائحة الأطفال الصغار بعد الاستحمام.
تجري من أمام بيتنا تِرعةٌ.. مياهُها نقيةٌ صافية..

يأتي الشتاء (تقف ....تسعة أمام النافذة ، و تطل منها عبر الزجاج)
تجتمع الغيومُ بدرجات اللونِ الرمادي كمثل تلك التي في السماء الآن..
أتسمعين صوت قطرات المطَر على زجاج النافدة..؟
لم أجربْه في قريتنا في صغري.. لا يوجد نوافذُ زجاجية هناك .
منظرُ الشوارع هنا جميل و أحساسي بالمطر رائع..
في قريتنا حين الشتاء...تجدين غيومًا بيضاء ، وأخري بتدرج اللون الرمادي ، و منها ما يكاد يلامسَ اللون الأسود..
ترين السماء و قد أظهرت عبوسَ وجهِها..فتعرِّف الناسَ أنه احتمال عدم الخروج من البيوت لمدة قد تصل لثلاثة أيام...كما نحن الآن..
تمطرُ السماءُ ، فتمتلئ الترعة لحافتيها من الماء..و يطلق الفلاحون الطيورَ فتمتلئ الترعة بالطيور خاصة الأوز بلونه الأبيض ، ترين الأوز يقف في قطعان قطعان يمرح في الماء ، و يغطي رأسه في الماء ، ثم يرفعها فرحا كأنه يشكر الله على المطر.
و كما تجيدين السماءَ بتدرج اللون الرمادي تجدين الأرض بتدرج اللون الأخضر ،
و على جانب الترعة تمتد الحقول بألوانِها الزاهيةِ في المناطق التي تخلو من البيوت ،
و من الحقول تعرفين جدية الزارع..
هذة قطع متراصة من الأرض ، مزروعة قمح و برسيم ،
و على حسب اللون و طول أعواد القمح و سمكها تعرفين مهارة الزارع..
فهذا حقل أعواده طويلة ، سميكة و خضراء قد تلامس اللونَ الأزرق من شدة خضارها: هذا فلاحٌ جادٌ و ماهر ، زرع القمح في أوانه و سمَّده بالأسمدة المطلوبة.
و بجوار هذا الحقلِ ، ترين قمحًا أقل في الطول لكنه نفس اللون: هذا الفلاح تأخر عن الميعاد المحدد ، لكنه اعتني بزرعه.
و بجوارهما حقل يميل خضاره إلى الإصفرار ، قصير كان أو طويل دل على تأخر الفلاح و عدم عنايته بالزرع .



و عند الحصاد كلٌ يحصد تعبه..
"الأرضُ كريمةٌ وعادلة كما تعطِها تُعطِك".
و بعد انتهاء المطر تجدين الكلَّ حفاةً..
تسطع الشمس ؛ فترسل أشعتها للأرض مرة أخرى..

مع تيارات هواء خفيفة ومتتالية: ترين قطراتِ المطر أعلى أعواد القمح التي تهتز ؛ فتتلألأ و كأن الحقلَ عروسٌ يرقص يرتدي تاجا من الألماس ، يعكس ضوؤه فيسر الناظرين .

و ترين أيضا هذه المرأة تصطحب أبناءها لتحممهم بعد اللعب في الطين ، و هذا يسحب بقراته ليخبئها من برد الشتاء. و هذا يركبُ حمارَه المحمل بالبرسيم لعشاء أنعامه ، و هنا من يركبُ جملا محملا بأعواد القطنِ لتدفئة أبنائه و أهل بيته ، و أخرُ يحمل عدة كرنباتٍ لعمل – المحشي- و بالضفة الأخرى من الترعة من يحمل حِملا من نبات الخس ، و كثيرا ما تسمعين ..

يا محمد : اعطني كربنة و خذ خسا..

فيجيب محمد: توا كنت سأنادي عليك يا حنا ، و يتقابلان على الكبرى لإتمام المقايضة.

و هناك عدةُ صبايا تحمل كل منهن جرة الماء على رأسها يمشين رافعات هاماتهن - يغلبن عارضات الأزياء في الخفة و الرشاقة.

و أخريات يشمرن جلاليبهن لمنتصف ساقهن و هن في الترعة ، ينزلن ليتأكدن أن الملابسَ مازالت بموضعها و لم تجرفها المياه.

و هنا مجموعة من الفتية ، فاتحين صدورهم العارية ، و كل يحمل ما يحمله على ظهره ، و قد يظهر عجوزٌ تخطي التسعين متكأ على عصاته و ينادي :

يا فتياتُ ، يا فتيانُ: اثقلوا من ملابسكم لا تفتروا على شبابكم ، فيجري إليه جميعهم و من يصله أولا يحمله إلى بيته.

و هنا من يسحب حماره محملا بتراب جاف لتجفيف حظيرة بيته ، و هناك من يحملُ حطبَ القطن الجاف ، و هناك من تقلّب كومه قش الأرز ، لتأتي بالقش الجاف من أسفلَ إلى أعلى حتي تعودَ لنشر غسيلها ، و هذا

طفلٌ يتدلي من أعلى أحد الأسطح على السُّلم الخشبي ليأتي بالبصل لأمه لتعد الطعام ، و هذه تجري وراء أوزة ، أو بطة لتعدها للعشاء ، و هذا يصلح الموقد (الكانون) الذي أفسده المطر ، و هولاء يحملن كومة من الأواني لغسلها في ماء الترعة ، و هذه تحمل "مشنة"(وعاء به عدة أرغفة) الخبز و تذهب إلى جارتها لتسخينهم (لتأميرهم) في الفرن (لأن الجارة تخبز).

و قد ترين القسيس يركب حمارَه ، و شيخ الجامع يركب حماره و يتقابلان عن باب أحد المرضي.. فيجري الجميع ليقبّل على أيديهما كليهما ..و من يجري ليحضر كومة من قش الأرز ، لينزل عليها كل منهما ، الشيخ و القسيس كلاهما كبير فى السن..

لا يبصران جيدا..

فإذا حادث الشيح فتي..

يا على جهز لي الركوبة (الحمار) لأنطلق للجامع لصلاة الظهر ، يجهز له الغلام..

و إذا سأل الشيخ لماذا لا تأتي معي لصلاة الظهر ..؟!

يجيب و هو يسلم عليه و يقبل يده .. أنا مرقس يا سيدنا.

و من الجائز أن يطلب القسيس نفس الطلب لصلاة العشية بالكنيسة..

يجيب الغلام.. أنا عليّ يا أبونا.

في قريتي ، الكلُّ سعيد أو الكل حزين

الكلُّ مطعوم أوالكل محروم.

لا تُوجد مآقي حزينة ، أو أولادٌ بدون عَشاء.

الكلُّ يعطي الكلَّ..

الكلُّ يحب الكلَّ ..

الكلُّ يشبه الكلَّ..

لا زي مميزٌ ، أو لهجةً مميزة.

و في المساء ، يأوي الجميعُ إلى منازلِهم.. كل بيت يتدفـأُ.. و تسمعين أصواتَ الحمد و الشكر من كل البيوت..و تعرفين ماذا طهت كل ربة بيت من الرائحة..

ماريز :و كأن قريتَك الفردوسُ ، ألا تُوجد مشكلات أو معاركَ أو خطاة !
(..................تسعة) : يوجد بالطبع يوجد ، يوجد أعواد نبات الذرة العالية..
وعتمة الليل البهيم..
يوجد مشكلات بسبب الأرض أو العرض ،
و كم من مرةٍ اختفت إحدى البناتِ فجاءةً لسبب تفريطها في عرضِها ،
لا أحد يتكلم ، يروي ، يحكي ، يًعلِّق. تموت..و تموت سيرتُها معها.
و كأنها لم تكن موجودة . و كأنها لم تخلق .
ماريز: و الرجل؟!
(..................تسعة): الرجل لا يُعاقَب.
الرجل عندنا سيف ، أينما ذهب يطلب أن ينجلي.
في قريتنا مشكلاتٌ و معارك و خطاة بالطبع ، لا أحدَ يغوص في الوحل و يظهرُ للناس نظيفا..لا خَفيٍّ إلا و يُعلن .
يوجد شر.. و الشر لا يغلبُ الخيرَ.
و كما أن السرَّ يُعدم بالعلن ، و الشمس تقشع الغيوم ،
و الرائحة الذكية تطرد الرائحةَ المزمومة ،
هكذا الريفُ.خيره يغلب شره.
رائحة الدخانِ مذمومةٌ ، لا تشتميها إذا خرج الخبزُ من الفرن ، لأن رائحة الخبزِ ذكية.
هكذا رائحةُ اللبن ، تطردُ رائحةَ الروث..
و رائحةُ الطفل الوليد ، تطرد رائحةَ الوالدة.
كما رائحةُ العرقِ تتلاشي أمام رائحةِ العطر ، هنا و إن كان بسيطا..
هكذا أهل الريف..الطيبِ يطرد الشريَر ، و الخيرُ يعم على الشر.
و رائحة الصالحين تطغي على رائحة الأشرار.

ماريز: و ماذا عنك وسط كل هذا؟!
(................تسعة): أنا جزء من عائلتي ، و عائلتي جزء من الريف ،
و حياةُ العائلة على قدر ما فيها من تعاونٍ و خير على قدر المشاحنات و المشاجرات.
ماريز: أين قصتك؟!
(..................تسعة): سأبدأ من مرحلة الثانوية العامة.
ماريز: على شرط أن نعودَ لاحقا للمراحل الأولى.
(..................تسعة): أتفقنا.
الأغلب في عائلتي لم يُرد لي أن أكمَل تعليمي الجامعي.
جزء قلق على من المرض ، لأنني ولدت ضعيفةٌ و قالوا لأمي : يوم ولدت أنها لن تعيش..
الجزء الآخر لم ير إلا تكلفة التعليم ، و لا يوجد فتاةٌ من قبل أكملت تعليمها في العائلة ، و لا داعي للمخاطرة ، تعيش كما قُسم و قُدر لها
لكني ثبتُّ وجهتي لدخول الثانوي العام ، و رفضت دبلوم المعلمات ، رفضت ما قُسم و قُدر لي على حد تعبيرهم.. قررت أن أغير قسمتي من التعليم.
ولأن قريتَنا يوجد بها مدرسةٌ ثانوية واحدة ، و لأن الأقبالَ على التعليم الثانوي متأرجح سنة نسبتة عالية والتالية متدنية ، فلا يوجد شعبةٌ علمي علوم ، فنضطر للسفر لبلد مجاورة ، و صحتي لا تتحمل السفر كل يوم .
ماريز : و ماذا فعلتِ؟!....
"سلّمنا فصرنا نحمل"

الباب الأول
الفصل الثالث
عناية الله الفائقة

لم أفعل .. تضرعت إلى الله..

فأرسلَ لي الله أحدَ أخوالي على غير العادة ، ليحضر المشاجرة بيني و بين أخوتي و أبناء عمومتي. خالي هذا متعهد شباب العائلة و القرية في التعليم ، أو بالأحرى ، هو أحد متعهدي شباب القرية.

و تعهد خالي بحل المشكلة بأن يأخذني عنده ، و يتكفل بجميع احتياجاتي . فكان الاعتراضُ كيف ستعيش مع أكثر من عشرة شباب ، هو متكفل بهم (المُنعم عليهم)..

و كانت الإجابة سوف تعيش مع بناتي الكبار أو زوجتي..

و بالفعل أخذني عنده ، و التحقتُ بالصف الثالث الثانوي في المدينة التي يعيش فيها..

في البداية رحبتْ بي زوجته ترحيبا عظيما ، و اشترت لي ملابسَ جديدة كعادتها مع زائريها ، لكن بعد ذلك ، بدأت في الإفصاح عن الضجر مني ، حينما رأت أن ابن خالي الكبير يود أن يرتبطَ بي ، فجال في خاطرها أنني سوف أقسامهما في مملكتها ..

فصارحتْ خالي بضرورة عودتي للقرية ، خوفا من أن يرتبط ولدُه بي ، و ينكسر قلبُه بسببي ، و هو شاب وسيم و متعلم و غني و أنا لا أليق به .

و كاد خالي أن يفعلها..

لولا إحراجه من أهله ، و لم يجد حجةً يردني لأهلي ، و خاصةً أن قصة الكفالةِ هذه منتشرةٌ عندنا جداً و تكفَّل قبليّ بأكثرَ من ثلاثين فردا من العائلة ، و من القرية.

كنت متفهمةً للوضع ، و كنت ألتمسَ العذرَ لزوجة خالي ..أنا مريضةٌ بالقلب ، و مسئولية زوجة خالي عني كبيرة ، و كنت أظل أياما في شبه غيبوبة ، لا أشعر بمن حولي نظرا لشدة تأثير الدواء الذي أتعاطاه..
و لولا زوجة خالي منعت عني جميع الأدوية ما أستطعت عبور الثانوية العامة ، تعبت معي كثيرا..
بالكاد حصلت على مجموع هذه الكلية.

ماريز: و ما علة القلب؟
(.................تسعة):أصِبت بحمي روماتزمية في سن الخامسة ، خلَّفت لي عطبًا بالقلب و إلتهابًا بالمفاصل.
ماريز: Poor girl
(.................تسعة): Why?!
ماريز: أسمع أن المرض هذا خطير..
(.................تسعة): هذا له قصة طريفة ، سأحكيها لكِ لاحقا ، دعيني أكمل قصة ملابسي أولا.
ماريز: كلي آذانٌ صاغية.
(.................تسعة): التحقت بالكلية ، و كان خالي و مازال متعهدا بي. أعطاني قبل الالتحاق بالجامعة خمسمائة جنيها ، و أرسلني مع صديقات لي لأشتري ملابسَ الجامعة ، و لكن صديقاتي اشترين لأنفسهن و تركنني أشتري ، و خبرتي تكاد تكون معدومةً ، فاشتريت أشياءَ لا فائدة منها ، و لا تصلح لي ، و كانت أول نقود تسجل في سجل ديوني.
ماريز: ديونك..؟!!
(.................تسعة) : العام الماضي كان أولَ عام لي هنا..
أول العامِ كنت أطلب نقودًا يعطيني الضعف ، و على آخر العام بدأ يسألني عن كل مَليم أصرفه ، و قال لي أن هذا دين عليك ، و أنه يكتبُ كل شئ ، و عليّ أن أرد الدين بعد التخرج ، و وافقتُ على ذلك.
و عند بدء العامِ الدراسي ، أعطتني زوجةُ خالي مجموعةً من ملابسها- (FREE SIZE)- لأرتديها لا أعرف لماذا؟

و أعطتني مع الملابس حذاء ثمنه غالي جداً ، و قالت لي هذا الحذاء أصبح ملكك..
هذا الحذاء لم يكن مريحا بالنسبه لي..
هنا في البيت إذا احتاجت أي فتاة أي شئ من الأخرى لا مانع..
كانت نانسي - قسم إعلام - لديها موعدا مع خطيبها في أحد الفنادق..
و طلبت مني الحذاءَ لتكمل به أناقتها ، فاعطيتها إياه.
و قبل أن تخرج جاءت لتشكرني ، كانت في غاية الأناقه و الجمال ، كانت أشبه بفينوس -إلهة الجمال عند اليونان-.
ماريز: هي فعلا فتاة جميلة.
(..................تسعة) : نعم بالفعل..
للأسف تصادف وجود إحدى الفتيات و كانت على معرفة جيدة بزوجة خالي..
غارت منها لجمالها و رقتها.. ذهبت لزوجة خالي ، و قالت لها أني أُعير أشيائي للبنات كافة ، و أعير كافة الأشياء و طلبت منها نصيحتي بألا أفعلَ ذلك مرة ثانية حفاظا على ممتلكاتي ..
و عندما نزلتُ أجازتي ، سألتني زوجةُ خالي عن الحذاء ، و عنفتني تعنيفا شديدا أحسست بسببه بصغر النفس.. فأجبتها أنكِ وهبتي لي الحذاءَ ، و أصبح ملكا لي ، ولهذا أعطيته لزميلتي بالمبني.. و عنها أحضرتُ لها الحذاء و لكي لا يعرف خالي وتكون مشكلة آخذ الملابس ، و أضعها هكذا و لا ألبس إلا ما يخصني.

هنا أنهت (..................تسعة) حديثها.
(و كادت أن تفر دمعةٌ من عينيها)..تلك المرارة الأولى التي لاحظتها.
في تلك اللحظة قررتُ أن تكونَ هذه الفتاة صديقتي للأبد.

و مرت الأيام و تصادقتُ مع عدة فتيات أخريات من تخصصي و من تخصصات أخرى ، كن تسع بنات: أنا و (..................تسعة) و حنان فهيم ، و حنان صفوت ، و رانيا ، و هلبيس ، و ثلاث أخريات

كانت (.................تسعة) أقلنا معرفةً بالحياة الحقيقية ، لها معرفة كبيرة لكن مصدرها الكتب و القصص و الروايات..
كانت (.................تسعة) تخشي كل شئ ، و تشك في كل الناس ، و حذرة من الجميع..
كل شئ عيب .تناول التسالي في الشارع ، الضحك ، الفسح ،الرقص......
علمناها كيف تنفتح على الحياة ، فمن حقها أن تعيشَ حياتها بالصورة الصحيحة .
علمناها كيف تصففُ شعرها ، كيف تهندم ملبسها.
اقنعناها أن تفتح قلبها ، أن تحب ، و ياليتنا ما فعلنا هذه الخطوة.
كانت تجيد الطهي ، أما نحن فلا نجيده ، في نهاية فترة الدارسة خرجن بفضلها أساتذة في الطهي ، و هي أخدت أسلوبَنا في الطهي و هو الفوضوية و عدم التركيز.
ذات يوم جلستْ بجواري حنان صفوت ، و حكت لي حكاية حدثت العام الماضي..
قالت: كانت مع (.................تسعة) في الحجرة فتاةٌ مخطوبة لشاب أجنبي غني و اسم الفتاة ماريز أيضا..هذا الشاب كان يأتي ليصطحبَ خطيبته للفنادق و الأماكن الراقية.. و كانت ماريز تصر على أخذنا أنا و هلبيس و (.................تسعة) معها.
و هو لم يكن يمانع كنت أنا و هلبيس نطير من الفرح للخروج معهما أما (.................تسعة) فكانت ترفض ، و كثيرا ما كانت تلح عليها و لكن (.................تسعة) كانت تصر على موقفها ، و كنا نراها رجعيةً و معقدة..
إلى أن حدث لنا موقفٌ شائن في أحد الفنادق ، فعرفنا أن تلك الأماكن ليست لنا و ذهبنا إلى (.................تسعة) و اعتذرنا لها ، و لم نعد نخرج مع ماريز مرة أخرى.
"السّاكن في سِتْرِ العليّ في ظلّ القدير يبيت".

الباب الأول
الفصل الرابع
أضواء القاهرة

عدت اليوم من الجامعة مرهقة للغاية ، لا أقوي على إعداد الطعام ، أحضرتُ طعاما جاهزا..أكلت و تبقي كوبُ الشاي. ذهبتُ للمطبخ لعمله ، لكن المواقدَ كلها مشغولةٌ ، فوقفت في انتظار موضعٍ شاغر ، و البناتُ تملأن المكان... من تغني و من ترنم ، و من تصرخ و من تذاكر ، و كل واحدة في عالم غير الأخرى..
دخلتْ (.................تسعة) تلقي التحية فسألتُها...
ماريز:(.................تسعة) ؟!
(...............تسعة) : نعم.
ماريز: - ما حكاية قلبك؟
(.................تسعة) : قلبي مغلق لحين إشعارٍ آخر و (ضحكت).
ماريز: جد..
(.................تسعة) : جد ماريز.
ساحكي لك بعد الغداء
ماريز: أنا تناولت غدائي..
(.................تسعة) : أنا لم أتناوله ، و أمامي تقريبا ساعةٌ حتي أجدَ موقدا شاغر.
ماريز: يوجد معي طعام جاهز..
و جريت و أحضرته ، و قلت لها : سوف أعد الشاي أثناء تناولك الغداء. تناولت جزءا صغيرا من الطعام و جهزتُ أنا الشاي ، و وجدت حجرتها مملوءة بالبنات رفيقاتها.. عرضتُ عليها أن تأتي لحجرتي فاستجابت..

ماريز: احكي ..
(...............تسعة): آه أنت تقلبين المواجع و المرار..
و أنا في سن الخامسة ، كانت أمي مسافرة لأخواتي(أختي وبنات عمي) لتوصيل (الأعياد) لهن و لكنها لم تكن قد انتهت من تدبير الزيارات..
و كان أحد أبناء العائلة مسافرا لنفس المدينة - مدنية القاهرة -عائدا من إجازته لاستكمال دراسته ، فأخذني معه قبل سفر أمي بيومين..
سافرتُ معه ، و في الطريق أحسست بدوار وتعب شديدين و تقيأت ، و مع القئ تقريبا غبت عن الوعي ، و صلتُ لأختي منهكة ، أخذتني و حممتني و أطعمتني و نمت نوما طويلا و عميقا ، بعدها وصلت أمي و أنتهينا من زيارة أختي الأولى ، و أختي الثانية و أختي الثالثة ، و جاء دور زيارة إحدى خالاتي..
ذهبتُ مع أمي إلى خالتي و التي كانت خبرتها كبيرة في الحياة و الأطفال ، رأت وجهي و تعبي فعرفت أن الأمر جم..
سألتْ أمي عما حدث ؛ فقصت عليها ما كان ، و عنها قامت خالتي و أمي باصطحابي إلى طبيبهم المعالج ، و ما أن قام الطبيب بالكشف على حتي ثار و جال.. و قال إن الأمر خطير.. أنها الحمي الروماتزمية و أنها أثَّرت على القلب.
و عنها انقلب الحال و من طبيب لطبيب حتي وصل العدد إلى سبعة و عشرين طبيبا بالقاهرة وحدها..
ثم أخذتُ جولة على أطباء المحافظات المجاورة أو التي لنا فيها معاملة ،
ثم انتهيتُ إلى زيارة الطبيب كل ثلاث أو أربع سنوات ، حتي وصلتُ سن الثامنة عشر ، و الكلام لا تغيير فيه..كلُ طبيبٍ نذهب إليه يقول : العطَب خطير ، و يكتب قائمة الممنوعات..و تتكرر مأساتي مع الأدوية و مرارتها و ألمها .. و الأمَرُّ من الدواء قائمة الممنوعات...
ممنوع المجهود (اللعب) ، ممنوع المشاعر ، لا زواج و بالطبع لا رهبنة (من شروط الرهبنة أن يكون الجسدُ صحيحا معافا لا يوجد به أي علة)..مرت الأيامُ و أنا أكافح و أتجاهل المرض..و كثيرا ما حُرمت

بسبب مرضي من الاستمتاع بالقاهرة محبوبتي بأضوائها الملونة المبهجة ، و أصوات التنبيهات العالية و محلات الحلويات و غيرها....
كنت أحب التمشية في شوراع تلك المدينةِ النظيفة ، ذات المباني العالية الشاهقة.. و تصميماتَها المميزة و المختلفة عن البيوت في قريتنا.. حتي الكنائسَ ، في القاهرة لها رونقها الخاص.. الكنائس في القاهرة تدق أجراسا ، و مساحتها كبيرة و ألوانها زاهية و صلواتها حارة.. كنيسةُ قريتِنا صغيرة و لا يوجد بها جرس.
في القاهرة تتزين النسوة بكل الألوان ، و تغطي رؤسَهن بأغطية ملونة ، أما في قريتنا لا أرى غير اللون الأسود ..
عندما عدتُّ أنا و أمي من القاهرة ، كل شهرٍ يصطحبُني عم من أعمامي ، أو أحد أبناء عمومتي لتوقيع الكشف على مٍن قبل طبيب لعلها بشرة خير ، و كل مرة في مدنية غير الأخرى .. جُلت في عدة مدن..
كانت أحبها إلى قلبي القاهرة التي تشبه إمرأةً جمالها طبيعي ، لا تحتاج إلى تزيين ، أو تشبه الأم التي أنجبت عزوةً في شبابها و مازالت تحتفظ بجمالها و أناقتها و رونقها و شبابها..
أما مدنيه الزقازيق ، فكنت أراها دائما عفنة كالمرأة التي لا تعرف كيف تتحمم..
و قريتنا أحببتها جداً ، فهي تشبه شابة ريفية قامت توا من غفوتها بوجهها الباسمِ و سنها الضاحك لا تحتاج إلى تزيين.
مرورا بمدنية دمياط ، التي كانت كالمرأة الغنية في انتظار الخادمة كي تصفف لها شعرها ، لا الخادمةُ تأتي و لا السيدةُ تكلف نفسها برفع يدِها إلى رأسها ، و رائحة روث الخيول تملأ شوارعها.
إلى بورسعيد..
تلك المدينةُ المتزينة دائما كالشابة التي تبحث عن عريس يليق بها ، تجدينها بأبهئ صورها كل وقت ، كل ساعةٍ ، كل دقيقة.. و مدينة فاقوس التي تشبه الفقوس في طعمه و في منظره.
و الإسماعيلية التي تشبه صبية دخلت توا طور الصبا ، و لكنها تعرف كيف تتزينُ زينة بسيطة تناسب مراحلِ سنها لا هي طفلة و لا هي شابة

و المدينة التي أعيش بها الآن تشبه صبية خرجت توا من طور الطفولة لطور الصبا ، جميلة و تحتاج لتتزين و لا تعرف كيف تتزين أو مِن مَن تطلب النصيحة.

و مدن المنوفية تمثل المرأة ذات الأمزجة المتعددة ، تارة في أبهي زينتها ، و أخرى في قاع الحضيض.

و مدنية المنصورة التي تشبه طلة أجنبية وسط نساء شرقيات..

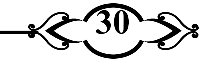
انتهت رحلتي مع الأطباء بعد عام تقريبا ، بعد اكتشاف المرض ، ثم نسي الجميع ما أنا فيه. فلا أذهب للطبيب إلا حينما يحطُّ علىّ المرض بأثقاله

" و عزّى ضعفاء الصّبر ، و رسم لهم نصيب الحقّ"

الباب الأول
الفصل الخامس
هدية العام الجديد في الإنتظار

و جاءت رأسُ السنةِ.. و أنا في عامي الجامعي الأول..
كان عندي تطبيق(section) بمادة الحاسب الآلي.. من الساعة التاسعة إلى الساعة الثانية عشر -منتصف الليلِ- ، استأذنت المعيدَ أن أدخل المجموعة التي تسبق مجموعتى لأني أريد أن أستقبل العامَ الجديد و أنا بين يدي الله و على الرغم من أنه رفض جميع الطلبات بتغيير المواعيد إلا أنه وافق لي..
أنهيت السكشنَ الساعة التاسعة مساءً و طرت إلى الكنيسة.
الكلية ببورسعيد كما تعلمين و الكنيسة هنا محل السكن – ببوفؤاد- جريت من شارع الجمهورية كأنني بمارثون إلى أن وصلت للمعدية ، و كنت أرتدي ملابسَ ثقيلة جدا..
و مع المعدية بهوائها الرطب الذي طالما أعشقه جاء الهواء شديدا ، و أنا عرقي بملابسي..
دخلت الكنيسةَ و أنا أشعر بدوار ، و ما إن وصلتْ الساعة الثانية عشر -منتصف الليل- صليت و تركت الاحتفال وصعدت لحجرتي.
غيرتُ بالكاد ملابسي ، و وضعت رأسي على وسادتي ، و لم أعلم شيئا عن الدنيا و أحوالها إذ ذهبت إلى العوالم الأخرى من الثانية عشر منتصف الليل إلى الرابعة عصرا في اليوم التالي.
كنت أراني أتمشي و أنا صغيرةٌ مع رجل طويل القامة يدعوني سمارة و أنا أقول له جدي.. كنا نتحادث عن أشياءٍ غريبة طوال هذه المدة ، و كان يقول لي:
" تشجعي لا تخافي.."

كنت أسكن في حجرة مع ثلاث أخريات ، كن على سفر لزويهن..و بالأحرى جميع البنات على سفر ليلة رأس السنة ، و لم يكن بالبيت كله إلا ثلاث فتيات فقط ، واحدة منهن في الجناح المقابل ، لاحظتْ عدمَ وجودي حتي الرابعة عصرا.. حينما كانت تستقبل الفتيات إثر عودتِهن.
جاءت لإيقاظي ، و ظلت تناديني و تحاول إسعافي و لكني كنت مازلت في تلك العوالم الأخرى مع جدي هذا..
جزِعتْ الفتاةُ ، و هرولت -لطاسوني- المسئولة ..
جاءتْ طاسوني محاولةً أنقاذي ، و لكنني كنت ما زلت هناك..
اتصلتْ بطبيب يُدعي رأفت جاء من بورسعيد إلى بورفؤاد .
جاء الطبيبُ الساعة الخامسة مساءً و الفتيات و - الطاسونات- وافقات و لكِ أن تتخيلي موقفهن..
وقَّع الكشفَ على ، و أرسل من يُحضر أدوية و أمبولات (حقن) و أنا مازلت هناك..
جلس بجانبي لمدة ساعةٍ ، و أخيرا قال لطاسوني: سوف تفيقُ بعد نصفِ ساعة..
طاسوني من خوفها ترجته: أن يجلس حتي استفيق ، و لكنه طمأنها بأني بخير ، و أوصاها العلاجَ بموعده و مضي إلى عيادتة..
و بالفعل بعد نصف ساعة عدتُ من العوالم الأخرى..
و ما إن فتحتُ عيني حتي سمعت أصواتَ الشكر و الحمد و الصلوات أني بخير..
أفقت على صوت خمس و ثلاثين بنتا فرحي مغبوطين شاكرين الله على سلامتي..
تلك المرة الأولى التي أشعر فيها بمحبة الناس..
و عرِفتُ منذ تلك اللحظة أهميةَ زيارة المريض ، و جودة المشاعر الطيبة تجاه الناس ، كل الناس.
و كلُ منهن أتت لي بطبقٍ به طعام و حلويات و ما إلى غيره..
الغريب أن هذا الجَدَّ الذي كان معي بالحُلم ، لم أره مرة و احدة في حياتي..كان يقول لي عاتباً: كيف نسيتِ ما علمتُك اياه؟



قومي تسلمي هديتك.
و في اليوم التالي جاء دكتور رأفت اطمأن على ، و عندما شكرتُه على تعبه قال (إنه واجبي..)
و قال لي جملة غريبة
"عندما يرفع الله عنك المرضَ يا ابنتي تعالي عندي العيادة ، من المحتمل أن يكون قلبكِ سليما و تتزوجين و تفرحين بحياتك"
سمعتُ الجملةَ كأني استمع إلى أبله.. و لكن حاشاه..
الرجل فاضلٌ وكريم..
ظلت هذه الجملة تراودني إلى أن انهيت امتحان أخر العام ، و بينما كنتُ جالسة سارحة بخيالي في تلك الجملة...دخلت إلى الحجرة فتاة تدعي جاكلين فايز من الإسماعيلية و سألتني عن سبب شرودي..
فأجبتها : أن الدكتور رأفت قال لي كذا..
جاكلين: لماذا لا تذهبين إليه ؟..أتردين مرافق؟!
لا أعلم لماذا قلت لها نعم ، مع أن الموضوعَ كان خارج تفكيري ، و لم أكن أنوي الذهاب ملطقا.
جاكلين: أنا آتي معكِ.
(..................تسعة): أنتِ حزمت حقائبَك و حجزت (البولمان).
جاكلين: لا يهم سأنتظر معكِ.
(..................تسعة): ليس معك نقودٌ للطعام و مصاريف الإقامة..
جاكلين: لا يهم سوف أتدبر أمري.
و أجرت اتصالا هاتفيا بأمها و قصت عليها الموضوع و استاذنت أن تظلَ معي حتي أنتهي من الكشف.
ذهبتُ للطبيب رأفت ..فرح بي جداً ..
طلب عدةَ تحاليل و أشعة..
ذهبتُ لعمل الأشعة أخبرونا: أن أمامنا شهرٌ كامل للحجز..
أخبرتني بذلك إحدى عاملات النظافة بالمشفي العام.
فأجبتها "ليس لي نصيب".. فقالت لي العاملة.. لماذا يا ابنتي ؟ أخبرتها بأني مغتربة و اليوم آخر يوم في بيت الضيافة..

فأخدت مني الأوراقَ ، و دخلت للطبيبة المختصة و ترجتها..
فأشارت لي بالدخول..فدخلنا أنا و جاكلين..
و قالت لنا الطبيبة: أنني بصحة جيدة و قلبي لا بأس به..المشكلة أنها قالت نفس الكلام للمريضة التي كانت قبلي ..و عندما خرجت المريضة أخبرتْ ابنها أن الحالة حرجة جداً.
قلت في نفسي أنا مثل من كانت قبلي..
أنتهيت من الأشعةِ و التحاليل و ذهبنا للطبيب رأفت الذي أخبرني..
أن العطب الذي في قلبي ليس من الحمي ، بل هو عيب خِلقي خلقت به ..و ليس له علاج و يمكنني أن أحبَّ و أتزوج بشروط.. أن لا أقوم بمجهود زائد ، لا أحزنْ بشدة ، لا أفرح بقوة و لا استيشط غضباً.
و نصحني بتدريب نفسي .. لمواجهة الحياة.
الطبيب رأفت مثال للطبيب "صاحب الرسالة و ليس صاحب المهنة".
و هنا أنهت (............ تسعة) كلامها
فأجبت فرحة:
و ماذا كان رد فعل عائلتك..؟
(............ تسعة) عائلتي لا تعرف شيئا حتي الآن.
ماريز : لماذا؟!
(............ تسعة) هكذا أفضل.

و بالفعل لم تخبر عائلتَها إلا بعد عامين كاملين .
كانت قد عاشتْ بمرارة الألم و مازلت تعيش به.
عزيتها و قلت لها الكتاب يقول..
"احسِبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة"....

الباب الأول
الفصل السادس

لابد

و لأننا أقنعناها أن تحبَّ و تتزوج ، و لأول مرة تفتح قلبها لأحد..
أحبته بعقلها اختارته ليكونَ شريكَ حياتها ، عُرض عليها قصص و شباب من كل حدب و صوب ..
هي لم تكن جميلةً على الإطلاق..
لكنها كانت دمثةَ الخُلق ، طيبة القلب ، ذكية ، لمَّاحة ، مُحبة ، متعاونة ، متفاهمة و الأهم متدينة حق التدين.
الشبابُ المغترب في بورسعيد مثل أي مدينة بها طلبة و طالبات مغتربين .. يقيم علاقات مع الفتيات المغتربات بقصد التسلية و بنية سيئة..
و لكن عندما يريد الزواج يرتبط بمن تصون ُالعشرةَ و العهد ، و هي كانت أيقونة لصون العشرة و العهد.
و عُرض عليها عروضا جادة كثيرة..لكنها رفضت كل أولئك ، و اختارت أحد أقاربها...
كان يحبها بصدق و صبر...أو هكذا هي ظنت..كان يعلم أنها ليست للزواج ، و مع ذلك ترك مشاعرَه لها.
كانت تعرف ما يقوله من نظرة عينيه ، لم تكن تراه إلا ثلاث أو أربع مرات في السنة..لمَّح لها بحبه منذ أن كانت بالصف الثالث الإعدادي.. و استمر بالتلميح إلى الصف الثاني الجامعي..
أعطته الضوءَ الأخضر ، و أطلقت لمشاعرها العنان بعد أن أقنعناها نحن..
أحبته أولا بالعقل ، ثم القلب و الوجدان ، أحبته حتي صار كالدمِ يجري في عروقها..
و ابتدينا في شراء أشياء (لجهاز العرس) و نشتري لها معنا..



دستة من الأكواب ..
دستة من الأطباق.. و أشياء من هذا القبيل.
كانت تأخد تلك الأشياءَ لزوجة خالها ، فكانت زوجة خالها تحفظهم لها إلى أن تأتي أمها من القرية فتريها بما أتت ابنتها..
كانت أمها تتصرف تصرفا غريب جداً..
كانت تأخذُ هذه الأشياء ، و ترجع بها إلى القرية دون أن تستأذن (..................تسعة)
ظلت هكذا عامين كاملين.
كان هذا التصرف يؤلم (..................تسعة) بشدة لكنها لم تفصح عن تلك المرارة. وفي النهاية سألت زوجة خالها أمها..
زوجة الخال: لماذا تفعلين هكذا ؟!!!!!
و كان الرد الصاعق..
الأم:"ليس لها نصيب في الزواج فلماذا العشم"؟!
زوجة الخال: "دعيها تفرح مثل البنات تعيش الحلم على الأقل"
الأم: "لا داعي".
و بعد العامين أخبرت (..................تسعة) خالها بأنها سليمة ، و يمكن أن تتزوج و عنها قام باللازم و أرسالها مع أمها لأحد أبناء عمومتها ، و كان طبيبا.. و بعد الأشعة و ما لزم...
قرر الطبيب الجديد ما قرره الطبيب رأفت.
عندها تركتها أمها تجمع ما تجمعه و قالت .
"لكل شئ زمانُ ، و لكل أمر تحت السموات وقت"

الباب الأول
الفصل السابع
كسرة قلب

و قصةُ (................تسعة) مع من أحبت ، و اختارت من وسط زينةِ الشباب الأغنياء و الفقراء عجيبة أيضا..كان اسمه إسحاق..
إسحاق هذا كان وسيما طيبا و على خلق و متدين ، أو على الأقل كنا نراه هكذا.
كانتْ تريد منه طلبا ، و أخذت رقم تليفون عمله حينما جاء ليزورَ القرية..
اتصل بها لأول مرة و كانت في منتهي السعادة ، تكاد تطير فرحا ، و كنا فرحين لفرحها لأنها تعيش أسعد لحظات عمرها ، و يبدو أنه كان يود أن يمهد الطريق لإخبارها أنه لا يُوجد نصيبٌ لهما في الزواج ، أو لعله أراد أن يلهو قليلا ، أو أراد تجربتها إلى أي حد ستحفظ سره بعد الزواج .
فطلب أن يأتي بورسعيد بشرطِ ألا تخبر أحدا من أهلها..
نحن فرحنا ، أما هي فكانت قلقةً ، و قررتْ أن تخبر أهلها..
قالت لي لماذا لا يريد إخبار أحد من أهلي ؟..فهو ذو قرابة ، ولن نفعلَ شيئا مشينا..
و عند اتصاله مرة أخرى ، أخبرته إحدى المسئولات بالبيت أنه ليس من حقه الاتصال بها..
ذهبت (................تسعة) إلى السنترال العام لتعرف لماذا لم يتصل ليخبرها بطلبها ؟
و كنا في امتحانات السنة الأخيرة لـ (................تسعة)..
(................تسعة): (آلو) ممكن أكلم الأستاذ إسحاق لو تسمح..أنا (............تسعة).
الطرف الآخر: أستاذ إسحاق تليفون ..(................تسعة)

إسحاق :(آلو) (بلهفة) كيف حالكِ ..و كيف حال الامتحان اليوم؟!
(.................تسعة) : نشكر الله أجدت فيه.
إسحاق : للعلم أجريت منذ عدة أيام إتصالا بكِ ، لكن مسئولة الإستقبال أجابت اسمكَ غير موجود في قائمة أقاربها ، و رفضت تحويل المكالمة.
(.................تسعة): آسفة إن سببت لك إحراجا..
إسحاق: لا عليكِ ..قررتي ميعاد لأسافر لكِ؟
(.................تسعة): أعتذر عن شرطك فقد أبلغت خالي بسؤالك..

و عندها وجد الفرصة لإخبارها بما كان يود إخبارها بهدوء . أي كانت أسبابه- لإنهاء العلاقة التي لم تبدأ بعد.
إسحاق: (يستشيط غضبا) للعلم أنتِ فهمتِ الموضوع خطأ ، إننا لسنا أكثر من ذى قرابة.
في تلك اللحظة...
أحست (......... تسعة) كأنها في سفينة في عرض البحر..و الأمواجُ تضربها من كل اتجاه.. أو كأنها محبوسةٌ في زجاجة و أحدٌ ما يرجها بكل قوته..
و أنها ليست في الحقيقة ..أنها في حلم مزعج – كابوس- ..
أو أنها فقدت البصرَ و لم تعد ترى..
ربما ضربها أحدٌ بعنف على مؤخرة رأسها؟!
مرت هذه اللحظاتُ بها .... حوادث و حكايات و مواقف كأنها أعواما تم تسريعها بحركة السينما السريعة (fast motion).

أشياءٌ و مواقف و أشخاص و مشاعر و أفكار كثيرة جداً تم الزج بها في رأسها مرةً واحدة ففقدت توازنَها.. سقطتْ منها الأوراقُ و الكتب و ما كان معها في يدها دون أن تدري..
كانت تسمع فقط..
إسحاق : سوف أخبر خالك بأنني كلمتكِ بضع مرات..

(.................تسعة): لا داعي فكلامنا كان أمام عموم أعمامي ، و أننا سنتبادل الاتصال و قد استأذنت أبي بذلك.. خالي و أبي يعرفان بأمر المكالمات.
لا تتذكر باقي المكالمة و كيف إنتهت..
خرجت من (كابينةِ) التليفون في السنترال العام و أشيائها على الأرض ، نادى عليها الناسُ لتجمع أشياءها و لتدفع حساب المكالمة...
عاملُ السنترال الذي لاحظ فرحتَها و هي آتية ، هاله منظرُها منذ الوهلةِ الأولى في المكالمة ، نظر إليها في أسي و تعجبَ مما حدث ، كان يتابعها من خلال زجاجِ الباب ، لم يستطع تحويل نظره عنها ،
هاله تحولُ ملامحِ وجهِها الصغير الباسم السعيد إلى وجه سيدة تخطت من العمر أرذَله..
دون أن يدري دخل على الخطِّ ، و سمع ما يدور..تابع موتَ حلمِها في تلك اللحظة كأنه يجلس في قاعةِ سينما..
كأنه يري النقاءَ تم إعدامُه.. سمِع و عرِف أن هذه الفتاةِ تم اغتيالها عاطفيا عمدا.
طوال أربعِ سنوات تتعامل معه ، كان يعرفها بحكم الجيرة ، و يعرف استقامتها و سلوكِها الحسن ، و حزن عليها لأنه توقع موتهَا من شدة الصدمة..
تلك البناتُ الريفياتُ اللائي يُحببن بعمق ، و يحافظن بعفة إن فرطن يفرطن بعنف و رعونة..
هذا الأرعن السفيه ، كيف يفرِّط في هذه الجوهرة.
و قال في نفسه واأسفاه.
نظر إلى الفتاةِ و هي تدفع الحسابَ ليقولَ لها بعينيه لا تحزني..
لكنها لم تنظر له ، و لم تقرأ رسالتَه..
دفعتْ الحسابَ كأنها دفعت حسابَ الأعوام التي مرت من عمرها ، و مضت مكسورةَ القلبِ و الخاطر..
عادت إلى بيت الضيافة ...لا تعرف كيف..
وضعت رأسَها و من شدة صدمتِها ذهبت إلى العوالم الأخرى.

كنا كلنا في امتحانات ..هي فترة صباحية و نحن فترة مسائية..
دخلنا من الامتحانات لم نجدها ، أعدت الطعام على غير العادة بحسب جدول إعداد الطعام..
وجدناها شبه حية..
رفعناها في وضع الجلوس مستندة علي و سادتين و الحائط..و الدموعُ تنهمر من عينيها..هي في عالم آخر ..
أحضرنا كوبا من الشاي الساخن و وضعناه بين يدها ، كما كنا نفعل دائما لإيقاظها من حالات النوبة تلك ..
و نبَّهناها أن الشاي سيقع منها و إحدانا تمسك معها كوب الشاي..
تنبهت و لكنها مازالت هناك..
الدموعُ مازلت تنهمر بغير صوت من عينها كأنها قطرات من مياه النار تحرق قلوبَنا... ترى ماذا حدث؟!
ظللنا نتناقش و نخمن ماذا حدث..؟
لم تُجب في الامتحان ....طُردت...فصلت..مات أحد أحبائها.....
وصلنا لجميع الاحتمالات....و أبدا لم يأت في مخيلتنا خيانةُ أبناء الدم.
عادت بعد حوالي الساعتين..
كانت في عوالمِها الأخرى تبكي و الدموعُ تسيل على خديها
تركنا كل ما بيدنا و جلسنا بجوارها حتي أفاقت وحكت لنا..
عزيناها وقلنا لها: إنه شجار أحباءٍ و غداً يأتي إليك و يطلب السماح..
و من الجائز أن يكون قد ذهب لأبيك و طلب يديك منه الآن..
المسكينةُ صدقت..
فعلنا هذا بألم لكن مستقلبها كان أهم من أي شئ..
كنا نعلمُ أن هذا الإنسانَ لا يستحقُها ، و تسائلنا فيما بيننا كيف يحبُها و يعرض حياتها و مستقبلها لهذا الخطر الكبير..كان من الممكن أن تتضاعفَ حالتها ، أو ترسب في الامتحانات..
كادت أن تموت فعلا لولا وصولنا في الوقت المناسب ، بالتأكيد لم يحبها .
أنا أؤمن أن الله سيخلِّص منه و من أمثاله لكل البنات المقهورات..
إن لم يكن في الحياة الدنيا ففي الحياة الآخرة.

كانت تجلسُ تذاكر كل يوم في النافذة علي أمل أن يُنادي عليها للرد على التليفون..
كان الأملُ بداخلها كبيرا جدا..
لكنه لم يتصل ..
و انتهت الامتحانات للعام الأخير وعادت لبيتها..
و عندما اتصلتُ بها لأطمئن عليها ..
أخبرتني أنه تقدم لخطبة صديقاتها واحدةً تلو الأخرى ، كأنه ينتقم منها و رفضنه أيضا الواحدة تلو الأخرى..ردا لكرامتها..
أشارت إليها بعضُ الفتيات أن تتصل به..
رفضتْ رفضا تاما قائلة : لو جاء سأسامحُه ، و لكنني لن أطلبَ الحبَّ منه..الذي يتزوجُني لابد أن يأخذني و هو يراني ملكةً متوجة على عرشي.
تزوج هو ، أما هي فقد ظلت لسنواتٍ تتساءلُ لماذا يفعل إنسانٌ بمن يحبه ..هكذا..؟!!
ثقتَها اهتزت بجميع الرجال ، و ظلت لعدة سنوات ترفض موضوع الارتباط من داخلها..
و أسبوعيا يتقدم لها عريس ..من معارفَ..أصحاب ..زملاء.
لا يعرفون قصتَها.. و لا يعرفون أنها تعيش بكسرة قلب.
كانت تقابلهم ببشاشة و لكن بعيدا عن البيت..
حتي اقنعناها مرة أخرى بالارتباط..
ترى أأخطأنا عندما أقنعناها أن تحب أم لا؟!
هي طويت هذه الصفحات ، و نسيت و صافحت و سامحت..
أما أنا فلم أسامحه حتي الآن ، و لو قُدِّر لي و قابلته فسوف أسأله لماذا فعلت هكذا بها؟
و في النهاية هو الذي خسر لا هيِ.. و مؤكد أنه قابل وجهَ كريم الآن..
هي نسيت لكنني لن أنسي كسرةَ قلبِها و اغتيال فرحتِها ، و حزنها الذي سكن بين أضعلها ، و طعم مرارة الهجرِ التي لاتزال في فمي قبل فمِها. و كما يقول الكتاب : " ليَ النقمةُ أنا أُجازي يقول الرب"

الباب الأول
الفصل الثامن
مرارة من الرحم

مرةً سألتُ (.................تسعة)
ماريز:لماذا أنتِ قويةٌ ولست كباقي الفتيات؟!
"كأنك تملكين قلب رجل"
(.................تسعة): لأني لطيمة.
ماريز: لكنّ و الديك مازالا على قيد الحياة.
(.................تسعة): الأمومة و الأبوة تصرفات و ليس حيوات.
إن أمي -أم رأفت- شخصيةٌ عجيبة ..
ماريز: من هي أم رأفت هذه..؟
(.................تسعة): أمي .
ماريز: ألكِ أكثر من أم؟
(.................تسعة) : نعم لي خمسُ أمهات أخريات زوجات أعمامي.
ماريز:آهه أكملِ..
(.................تسعة) : إن أمي -أم رأفت- ..كانت تريد أن يزرقها الله بنتا ، من أول ذكر أعطاه الله لها ..
كانت تريد بنتا حتي تولول عليها يوم أن تموت ، لأن بنات زوجها لن يولولوا عليها ،
ليس لشئ إلا لبعد المسافة..و تقارب السن ، و لقد تكفلت باثنتين منهن و اشترت لهما كافة المطلوب في زواجهما ..فهما تحبانها جداً ، و أيضا بنات عمي كأخواتي ...
لكن دائما يساورني شعورٌ أن أمي لم تكن تحبني.. لا أدري لماذا؟
سأحكي لكِ بعضَ المواقف ...

حينما كنت ذات ست سنوات ، كنت أريد السهر مع أمي ..أما هي لم تكن تريدني أن أسهر معها ، كانت تسهر طوال الليل تحيك (تخيط) الملابس لأهل القرية..و تنام بالكاد ساعة أو ساعتين ، وتقوم للعمل بالحقل و أشغال البيت و الأنعام مثلها مثل الباقيات ، و هذا أدي بها إلى أنها أصبحت (عصبية) إلى أقصي درجة..
في تلك الليلة أردت أن أسهر.. ألاحظها و هي تَخِيط الملابسَ..لكنها أبت لي السهر ..
ألححت فضجرتني ، و نهرتني نهرا عنيفا و صرخت في وجهي نااااامي..
أشفق على أحد أخوتي و ترجاها أن تتركني و كان يسهر مع أمي للمذاكرة ، لكنها نهرته هو الآخر .....
أن الرعب الذي دخل قلبي من تلك الليلة لم يدخل قبلي مثله إلى الآن..
نمت و من تلك اللحظة لم أشعر بحنان أمي حتي أخال أنني عجيّة ..
و لأطردَ هذا الشعورَ..
طلبت مرة منها أن تحتضنني فحضنتني و لكنني لم أستشعر أبدا بحنانها مرة أخرى..
ماريز: ربما يكون من خوفها عليكِ.
(...................تسعة): أكيد لكن الأسلوبَ خانها.

مرة أخرى كنت بالصف الثاني الثانوي..
طلبتُ من أمي أن تجلس معي فترة الإمتحانات فرفضت ، و قالت سأسافر لأخوتك و أبناء عمومتك لأنهم بحاجة لمن يخدمهم أيام الإمتحانات.
ألححت كثيرا و ترجوتها أن تظل معها فترة الإمتحانات فقط فلم ترض .
لذلك أقسمت أني لن أتكل على ذراع بشر مهما كان..
و أصبح تكالي على الله ثم على نفسي.
ماريز: هذان الموقفان ليسا مبررا.

(..................تسعة): يوجد مواقف أُخر كثيييييرة ...كانت دائما تعنفني ، و تقسو علىّ كثيرا حتي أني شككت أن تكون تلك الأم أمي لولا تأكيد زوجات أعمامي أنهن شهدن ميلادي..
لم أختلف أو أتشاجر مع أحد وجاءت أمي حكما ..إلا و كنت أنا المخطئة.. مع كل الناس ، في كل المواقف ، و في جميع الأحوال..
لماذا؟ لا أعلم...
أمي أرضعتني قسوة و أشبعتني جفاء....
ماريز: (..................تسعة) و أبوك ؟
(..................تسعة) :(ابتسمت) موجود.
ماريز: أين دوره في الحياة بالنسبه لكِ..؟
(..................تسعة):- (ابتسمت)..
أبي كان مرتبط بزوجته الأولى و يعشقها..و عندما ماتت مات معها كل شئ.
لم يتدخل أبي في حياتي أبداً لا بالسلب و لا بالإيجاب ، إلا مرات قليلات إحداها حينما كنت بالصف الثالث الإعدادي ، و أنتظر النتيجة وسألني شيئا فأجبته بأسلوب غير لائق(عصبية .رفعت صوتي..) حينها رفع يده ليصفعني ، و لكنه لم يفعل و قال لي..لا تنسِ نفسكِ أنا أبوكِ ..سبب نعمتك و لا يصح هذا . قال هذا بوجه متجهم و عبوس..
و تركني و مضي لعمله.

كانت هناك آية لم أكن أفهم معناها إلا بعد أن سمعت قصة (.............تسعة) مع أمها

" هل تنسي المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟ حتي هؤلاء ينسين أنا لا أنساكِ."

الباب الأول
الفصل التاسع
المريلة و الفأس

ذات يومٍ كنا نائمين ، و الطقس كان غاية في السوء... أمطار و برودة..
قمت منٍ نومي على صوت نحيب و بكاء..
و فوجئت بأن (..................تسعة) هي التي تبكي..
جريت على سريرِها لأستكشفَ لماذا تبكي..؟
فوجئت أنها نائمةٌ نوما عميقا ، و تصرخ و تبكي من شدة الألم..
أيقظتها فقامت من نومها تصرخ من ألم في قدميها لم أدرِ ماذا أفعل؟
قالت لي الآلام من الرطوبة و البرودة في قدماي.. أتيتَ بملابس صوف لأدفئ قدميها كما قالت ، و لكن لا فائدة ..
سكتتْ عن البكاء لأنها يقظةٌ ، و لكن الألم شديد عليها ..
أشعر بها و أتألم لالآمها ، ففكرت سريعا في مجفف الشعر (السيشوار)..
أتيت به و جعلته على قدمها.. تدفأت و هدأ الألم..
عندها قالت "الله ينيح نفسَك (الله يرحمك) يا أبي إبراهيم"
ماريز: الله ينيح نفسه (الله يرحمه)...
(..........تسعة): كان لي عمٌ لم يتزوج ..كنت أحيانا أنام في غرفته ، للضرورة القصوى ،
كان محبا للنظام و النظافة إلى حد الوسوسة ، كان متعلما إلى حد ما..
يحبُ أولادَ أخوته و يرعاهم ، لكنه كان بمثابة عصا التأديب لهم.
أحيانا كنت أنام معه في حجرته و كان بها سريران..
في أحد الأيام بكيتُ ، كما حدث الليلة.. كنت نائمة و قمت من نومي على صوته..
سألني لماذا تكبين؟!!.. أجبت ألمٌ بساقيّ.

فقام من سريره و هو رجل عجوز ، و أخذ عمامته الصوف و لف قدميّ و جلس بجواري إلى أن تدفئت و نمت فقام و نام في سريره..
لا أعرف لماذا كان أخوتي و أولاد أعمامي يرتعبون منه؟
كان يحملُني على كتفه عندما كان يذهب بي إلى الطبيب..
كان يفسر لي الكتابَ المقدس و يجيب على جميع أسئلتي..
كان يسمحُ لي بالمناقشة في أي أمر..
مرة طلب مني أن أذهب إلى قرية مجاورة ليلاً لأحضرَ طلبا من أحدهم..
و عندما قالوا له: الليل عتمةٌ ، و هذه بنت ..
أجاب...
لا يوجد في هذه العائلة بناتٌ.. " كلهم رجال ".
من تلك الساعة لم أعامل نفسي كفتاة أخاف أو أتدلل
عاملت نفسي كرجل..
ماريز : بما إننا صحونا و جفانا النوم ..احكي لي عن مرحلة الطفولة و حكاياتها
(..................تسعة): طفولتي الأولى لا أتذكر منها الكثير..
إلا أني جلست على سريري ذات مرة لمنتصف النهار ، لأن حذائي لن يكن تحت قدمي عندما أنزل من السرير و انتظرت لنصف النهار؛ ليأتي أحدٌ و ينزلني على حذائي حتي لا تطأ قدماي الأرضَ ، ربما كنت في الثالثة أو الرابعة من عمري.
ماريز: هل كنتِ ضعيفة لهذا الحد؟
(..................تسعة) :لا نوعٍ الأسّرة يختلف عن هذه (تشير إلى الأسرة) كانت الأسّرة مصنوعةً من الحديد ، و لها أربعة أعمدة طول كل عمود حوالي 240سم ، و السرير مرتفع لمسافة متر تقريبا.
ماريز: صفي لي حياةَ الفلاحِ فى الصيف ..و تطور أدواتِه....
(..................تسعة): يأتيَ الصيفُ بحرارته المتقدة..ليكمل نضج القمح و الفول ، تجدين الحقولَ تحولت من اللون الأخضر إلى اللون الأصفر الذهبي و البني..

و من زرعَ أولا يجني أولا ، و من يتأخر في جمع الحصاد فعلت معه الشمسُ فعلتها و أنضجت القمح زيادة فينفرط من عِقده..
تجدين حقلَ القمح باللون الأصفر و بجواره حقل القطن ، و القطن مازال صغيرا ، يشق طريقة باللون الأخضر الفاتح.
ثم ما نلبث قليلا حتي يعودَ اللون الأخضر مع نبات الأرز..
و مع الهجير (الحر المتقد) ندرُس القمح و تدخل أعواده بين طيات الملابس ، و كأنها سكاكينٌ تقطع ما تطوله.
لا نشعر بالألم لأن منظرَ القمح و هو خارج من الدرّاسة (ماكينة الدِراسة) منظرٌ يسرُ القلوب قبل العيون..
قديما كان الفلاح يستخدمُ النورج (عبارة عن مقعد ، أسفله إسطوانات حديدية مسنونة مركّبة على قطعة خشب تربط في الماشية ، و يظل الفلاحُ يدور في دائرة بحسب رص القمح حتي تتفتتَ عيدان القمح جميعها).
ثم يأتي بالسِدرة(و هي تشبه شوكة الطعام لكنها بطول حوالي 2 متر و مصنوعة من الخشب)..
و يرفع بها الفلاح القمح مع عيدانه عاليا في الهواء في إتجاة الرياح..إلى أن ينتهي من الكم كله فتظهر البذور (القمح) في جانب و"التبن" (العيدان) في جانب ، و لكن مازلت البذورُ مختلطةً ببعض "التبن" فيعيد الكرَّة و لكن هذه المرة بأداة أخرى اسمها "المِدرة"(تشبه السدرة و لكنها مثل سكين الطعام) و يكرر العملية مع إتجاة الرياح عدة مرات حتي يتنقي القمح من العيدان .
هذه الأدوات تراثٌ من أجدادنا المصريين القدماء.أما الآن فمكينة الدرّاسة تفعل كل شئ..
نعود للصيف..
مع هجير الصيف تسرح أطفالُ القرية لتجمع بيوضات دودة القطن ، قبل أن تتحور ، و تتحول لفراشة ثم تصبح دودة تأكل أشجار القطن و تضع البويضات من جديد.
و في الصيف نخلع البصل من وسط أشجار القطن و الأرض جافة ، و لابد أن تكوني بكامل تركيزك لئلا تتلفي القطن..

و- نطرطف – الذرة (نأخذ الورقات السلفي من النبات لإطعام الأنعام).
و ورقة الذرةِ عريضة و طويلة ، و حَدّها مثل شفرة الموس.. تجرح العنق و اليد و كل ما تطَاله..
و المشي في حقول الذرة نهارا يجلب صهداً يصيب الجسم بالشعور بالحكة . إن الصيف قاص على الفلاحين..
يشتهي الفلاحُ شجرة صفصاف على ترعة ليجلسَ تحتها لترفعَ وَقْدْ الصيف عنه..الصفافة كأنها جزء من الجنة ، و لا تتبع جهنم الأرض.
و رغم الهجير إلا أن كلا في عمله.
الرجلُ يتحمل شمس النهار و حرهَا في الحقل ، و المرأةُ أمام فرن الخبيز أو شي السمك أو مع زوجها بالحقل.
و كثيرا ما يهربُ الناس من حر الصيف.. بأن يزرعوا الأرز و هو يحتاج مياه مستديمة و يذهبون -للغلت- (تنقية النباتات المتطفلة الغير مفيدة التى تأخد غذاء الأرز)..
أو يصطادوا من الترعة جميعهم..القرية كلها تصطاد ..
مَنْ في الترعة يقذف السمكَ و من على الشطِّ يلتقط السمك..
لا أحد ينظر رزق أحد...
و من ليس له مَنْ يصطاد يُعطيَ و يأكل كمن اصطاد.
و أتذكر يوما اصطادت القرية الترعة ، و هو عمل متعب لأنهم يضطرون لتصفية الترعةِ من المياه التي بها..
أتذكر أنني ظللت النهار كلَه تحت شجرةِ صفصاف بجوار الترعة لا أستطيع رفع رأسي لأعلي و حلُمت يومها حُلما غريبا ، حلُمت بأنني لمست شيئا ما فأنار حائط كبير!!..
و قبل هذا الحُلم تعرضت للخطف .
و لما حكيت تفاصيل الخطف و الحُلم للعائلة ضحكوا ، و قالوا إنه الخيال الواسع.
ماريز : فعلا خيالك واسع.
(..................تسعة) :الحُلم خيال لكن الخطف كان حقيقة.
ماريز : هل كنت تشتغلين بالحقل ؟

(.................تسعة) : نعم..بل كنت أعتمد على نفسي كليا من الصف الثاني الابتدائي..لأن عند دخولي المدرسة قليلا ما كانت أمي تلبث في البيت ..
فكنت أقوم وحدي ، و أرتدي ملابسي ، و أجهِّز حقيبتي القماش و أمشي وحدي للمدرسة مع بقية أطفال القرية ، كانت المدرسة في قرية أخرى....
ماريز: و وجبة الآفطار و الشطائر(السندوتشات)..؟!
(.................تسعة) : هذه رفاهية لا يعرفها أطفال الريف ..بل عند عودتي لا أجد طعاما جاهزا فآخذ من بقايا فطور العائلة و آكل ، و إن لم أجد بقايا خبز .. آخذ رغيف خبز "كامل " من المشنة (قديما كان الفلاحون يخبزون الخبزَ بكميات كبيرة و يُرص فوق بعضه في وعاء يسمي المنشة) مع قطعة جبن قديمة و أتناولها على عجل و أخرج لأعمال الحقل.
كنت أفي بواجباتي المدرسية المنزلية الكتابية قبل خلع ملابس المدرسة (المريلة)..
أما الحفظ منها و المذاكرة ، فكنت آخذ الكتبَ مع الفأسِ للحقل لأذاكر فيها أثناء عملي..
ماريز: كيف؟
(.................تسعة): كنت أضعُ الكتابَ على حافة الأرض(الحدْ) و اقرأ الحفظ و أحفظ ، و إن نسيت أرجِع للكتاب..
ماريز: و هكذا كنت متفوقة؟!
(.................تسعة): نعم و هكذا كل أبناء القرية المتفوقين.
كنت أعود آخر النهار لأجد نسوةَ البيت قد أعددن طعامَ العشاء ، الذي كان الوجبة الرئيسية في حياة كل الفلاحين..
كنت أتناولُ العشاءَ و أذاكر ، ثم أنام مجهدةً لأصحو صباحا أكثر إجهادا بسبب مرضي و كنت أنام بفردي ..
ماريز: الرب قادر أن يرفع عنكِ.
(.................تسعة) : أمين يستجيب ...أعمال الحقل في الصيفُ أكثر شدةٍ و قسوة من الشتاء ، كنت أقوم من نومي السادسة و النصف

**صباحا ، لأكون في عملي السابعة صباحا لأعمل فيما يسمي بـ"الدودة"..
في حر الظهيرة الوقدة أنا و جميعُ أطفال الفلاحين بلا استثناء..
كنا نبدأ في السابعة حتي الثانية عشر ظهراَ ..
ثم نأخد راحة ساعة واحدة للغداء و الصلاة..
ثم نكمل العمل من الواحدة ظهراً حتي الخامسة عصراً..
كانت الأراضي واسعةً وشاسعة ، و معظم العائلات اهتمت بتعليم أبنائها الكبار ، و التحقوا بوظائف في المدن..
كانت هناك أزمة عمالة فيضطر الجميعُ للعمل لأن الحكومة كانت تفرض طفلين على كل فدان..
و لأن العائلة ليس بها أطفال فكان نصيبي أن أذهب لـ (للدودة)..
كان يأتي مفتش الزراعة ، و يخرجني من بين الأطفال لظروفي الصحية و يقول لي: أذهبي للبيب يا بنت إبراهيم..**

**كانوا يوصونني أن أجلس قليلا حتي يغادرَ ، و أعود إلى العمل..
ماريز : ما هذه القسوة؟..كيف تسمح العائلة بهذا..؟!
(..................تسعة): حياة العائلة ليس فيها مكان للتفاصيل ، كان المفتش يخاف عليّ و يخشي أن يحدث لي مكروها ، أما العائلة فليس فيها رحمة.
العائلة فيها سباقات و مشاجرات شبه يومية ، و مناقشات و مجادلات و أكملي ما شْئت...
لكن فيها محبةٌ تظهر وقت الضيق ، و خدمة تظهر وقت المرض ، و تعزية تظهر وقت الموت ، و تعضيد يظهر وقت الحاجة و الضرورة الملحة..
أما ما دمتِ بصحتكِ أو مازلتِ تمشين على قدميكِ فأنتِ خصم للكل.**

**ماريز:
تلك ذكرياتي عنها و معها...
و الآن أتركها لكَ تروي بقية قصتها و ماذا فعلت بها الأيام..؟!**

لم أعد أتذكر شيئا أنتَ تعرف ذاكرتي لم تعد كما كانت أنا في آخر عِقِدي
.
(.................تسعة) عندها اضطرابات ذاكرة مثلي و أكثر ستأتي لك بحكاية من الشرق و أقصوصة من الغرب..
تجلدَ بالصبر و نظمَ أنتَ الحاكايا و الأحداث ...سوف نستغل قوة ذاكرتك.
و أعدَ كتابة حكاياها بأسلوبكَ بعدما تنتهي هي من الحكايا.
(.................تسعة) لها أسلوب جميل في حكاياها...
أودعكَ في سلام الله و أمنه الآن و ربما أعود بعد قليل أصحح لـ(.................تسعة)
سلام..

" الأطفالُ يسألون خبزًا و ليس من يكسرهُ لهم"

الباب الثاني
الفصل الأول
نور على نور

أهلا بك عزيزي/عزيزتي ..
لعلكَ تعلمُ أني تخطيت الثمانين ، فأنا أكبر من ماريز بعام دراسي ، و أيضا ضاعت مني أشياءُ كثيرة أهمها الصحة و الذاكرة..
سأحاول تذكر أكبرِ قدر من الأحداث لعلك تتعلمَ منها شيئا أو تفيدكَ في شئ أو على الأقل تسليِكَ
و إن مللتَ مني أمسكْ بقلمكَ و اكتبَ أنتَ أحداث قصتي بطريقتكَ...كما اقترحت ماريز من قبل.
لكن استاذنَ مني أولا ..
كيف...؟.
سأخبرك في نهاية القصة.
سأبدأ الآن أول حدث و هو دخول الكهرباء قريتنا..
دخلت الكهرباءُ قريتنا..و أنا على أبواب دخولي المدرسة ..حينما مرضتُ المرض الكبير أما التلفازُ (التليفزيون) دخل و أنا بالصف الأول الإعدادي.
كنت فيٍ تلك الفترة شغوفةٌ بدراسة الأديان ..و شغوفة بالتلفاز.
أذكر مرةً أن مدرِّسة اللغة العربية أجرت مسابقة لامتحان الشهر ، و قالت الأول سوف يأخذ جائزة قيمة .
ذاكرت و اجتهدت و كان أحد أخوتي في زيارة لنا..
رآني مشغولة عنه فسأل فأجبته ، أنني حتما سأفوز بالمركز الأول فقال لي قدمي المشيئة. فتعلمت منذ تلك اللحظة أن أجتهد و لكن لابد أن أقدم مشيئة الله أولا..

و جاء يوم توزيع الجوائز ، و أخذتْ صديقتي إيزيس علبة الألوان الفخمة ، و هذه أول الجوائز..فأصبت بخيبة الأمل و قلت أنا الثانية ، فلم أكن..
الثالثة ، فلم أكن..
الرابعة ، فلم أكن..
فأشرت إلى المعلمة لأقول لها هل نسيتني؟
أو لم تري و رقتي أم مجموعي ضعيف أم ماذا؟!!!!!
أشارت لي أن أجلس..
و أخرجت من حقيبتها مصحفا شريفا و قالت لي ..
أنا لا أعلم كيف أتصرف..؟!
أنتِ الأولى ..و الجائزة مصحف شريف..
أرسلتُ لشراء جائزة أخرى فلم يجد الصبي الذي أرسلته شيئا قيّماً..
و وقفت المعلمة حائرةً وسط إلحاحي بإعطائي المصحفَ الشريف..
و هي في حالة رفض تام ، و لكنها مشوشة و أخيرا أعطتني ..
ثمن المصحف الشريف.
أتذكر يومها أنني ألححت عليها طول الحصة و هي رفضت بشدة.
بعد كل هذه السنين أشهد لتلك المعلمةِ حكتمها و فهمها الصحيح للدين.

مرة أخرى قامت تلك المعلمةُ بمسابقة في القرأن الكريم..
أخذت المسابقة من زملائي و سألت جميع طلاب المدرسة عن الإجابات..
بالطبع لم أحصل على مركز وسط أُسود الشرقية المسلمين..
و لكني حصلت على جائزة لإشتراكي في المسابقة و أنا مسيحية..
أيضا كان لدينا مدرس لغة عربية..
كان يأخذ عدد كبيرا من الحصص الإحتياطي و كان يفرض على زملائي المسلمين حفظ عدد كبير من الأحاديث النبوية الشريفة ، و كان يسمِّع لهم الأحاديثَ و كنت أنا سريعة الحفظ.. خرجت من المرحله الإعدادية بعدد من الأحاديث تضاهي التي يحفظها الآن خريج مدارس الأزهر ...كانت ذاكرتي قوية جدا في هذه الفترة .
" إن الله نورّ و ليس فيه ظلمة البتة"

الباب الثاني
الفصل الثاني

توائم الروح

في المرحلة الثانوية لم يكن ببلدتنا مدرسة ثانوية ، و مع مجهودات المدرسين و الناس فُتحت المدرسة. و كنا من أوائل الدفعات . كان التخصص في السنة الثالثة.
كنا ثمانية عشر طالب و تسع طالبات .
الفتيات كن تشكلية رائعة في الشخصيات و الصفات و المواهب و الأحلام...

إيزيس

أولهن إيزيس صديقتي من نفس قريتي ، من عائلة غنية ، جملية و تلبس زيّا مدرسيا و أحذية مختلفة عن كل الفتيات..
صادقتها منذ الصف الأول الإعدادي ، و ظللتُ بجوارها حتي الصف الثاني الثانوي ، و عندما افترقنا نسيت كل شئ و طوت صفحتي من حياتها كانت عاشقة لمدنية - تانيس - (صان الحجر) ، و كان لها أمنية أن تزور عدة بلدان و مدن بعينها منها (غانا ، نيس ، مالطة و تركيا).

عبلة

جميلة أيضا تشبة نجمات السينما ، رقيقة مهذبة من عائلة ميسورة الحال أيضا.. لها أخ مُحب للقراءة يمتلك مجموعات مصرية للجيب- عبير - رجل المستحيل – و ملف المستقبل...
و مجموعات من كتب الأدب العربي - أنيس منصور - إحسان عبد القدوس – يوسف إدريس و يوسف السباعي...

و من الأدب المترجم الأدب الأنجليزي و الأدب الروسي و الأدب الفرنسي...
هي أيضا نهلة للمعرفة و القراءة..
طلبن منها أن تستأذن أخاها وتأتي بقصص لنا ، لكنه من حرصه على الكتب رفض.
أما عبله: فكانت تسرق كل يوم سبتٍ ثلاث قصص من أي نوع ..تعطيني واحدة ، و إيزيس واحدة ، و بدور واحدة ، كن نقرأ القصص ، و نتبادلها مع بعضنا بعضا حتي يأتي يوم الخميس فنعطيها الكتب جملية و نظيفة كما هي. كنَّ نحن الأربعة محبين للقراءة و لم يكن مصروفنا يتحمل شراء الجرائد..
ذات مرة اشترينا شطائر(شندوتشات) فول و (فلافل)..كانت ملفوفة بورقة من جريدة الأخبار ..كان فيها الحلقه الأولى من قصة (دموع صاحبة الجلالة) للكاتب موسي صبري.. و كانت نسخة الجريدة حديثة ، و كان يوم سبت ميعاد الحلقة الثانية..
و إذ بنا لا نملك ثمن شراء الجريدة ، فمنا من كان معها – شلن - (خمسة قروش) أو - بريزة - (عشرة قروش)..
جميع ما كان معنا نحن الأربعة جمَّع ربع جنيها و كان ثمن الجريدة
فرحنا جداً و اشترينا الجريدة.. و يصادف أن كل يوم سبت كانت تكرر نفس القصة..

بدور

الثالثة: بدور.. أجملُنا ، ربما أجمل بنات المدرسة و القرية و القري المجاورة جميعها. كانت و مازالت جميلةَ الخُلُق ِوالخَلقِ..جميلة القلب و الوجة ، حميدةَ الأخلاق ، حكيمةَ و صافية صفاء ماء الخلجان..كنا نتناقش في الدين دون جدالٍ.. يحترم كل منا الأخر بكل ما فيه دون نفاق..
ذات يوم كان هناك مسابقةٌ عن مجلة حائط داخل الفصل.. و من عدد الفصل القليل أنتجنا خمس مجلات..

أفضلها كان بها مقال عن السيدة العذراء بعنوان "ولادة بشرية بحتة" أعترضنا أنا و إيزيس على المقال الذي يُسئ للسيدة العذراء في العقيدة المسيحية و الإسلامية.

و تشاجرنا مع كاتب المقال..فكان رد فعل أحدُ افراد المجموعة المشتركة في العمل و اسمه ممدوح ، أنه نزع المجلة من على الحائط و مزقها و قال.. "لا يوجد شئ يعكر صفو محبتنا ، نحن آسفون."

ساعتها حزّنا أنا و إيزيس ، لأن المجلة كانت جميلة و حتما ستفوز بالمركز الأول..

أما بدور فقد قامت بوضع حدودٍ جديدة للمعاملة و هي:

"ممنوع التحدثُ بتاتا في الدين لأي سبب حتي نكونَ أحباءَ لآخر العمر".. و قد كان..

عندما عثرت عليها بعد ثلاثة عشر عاماً من الفُرقة..

جددنا صداقتنا و قد أزالت عني الكثير و الكثير من الهموم..

مرة حذرتني قائلة :

"الإنسان عندما يعطي بلا حدود دون مقابل يصبحُ معقدا"

فعلا هذه حقيقة..

إذا لم يكن لك قامة روحية (علاقة مع الله) ستصبح معقدا..

و أصبح لعطائي حدود..

هذه المقولة جعلت مني إنسانا جديدا.

فأصبحت أحسب حساباتي مع كلٍ موقف و أتوقف للتفكير.

أما عن بدور نفسها فلها قصةٌ خاصة مليئةٌ بالأحزان و المغامرات و تحملتْ كثيرا في حياتها..

فهي من ذلك النوع الذي يقال عنه..

"إمرأةٌ فاضلة من يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"

ربما نتطرق لقصة بدور لاحقا و ربما لا..

بدور كانت تصلح أن تكون مخرجة سينما أو تلفاز. بارعة جداً في تفنيد المواقف و الأحداث و حينما كن نقرأ عن إعلان لإنتاج فيلم أو مسلسل لقصة نعرفها كانت تتوقع الممثلين اللائقين للأداور بنسبة 90% .



هيفاء

طويلة كغصن البان، ملامحُها رقيقة ، بسيطة في شخصيتها و مظهرها ، تعتقد أن القراءة الخارجية مضيعةٌ للوقت.. هي إنسانة محبَّة ، بسيطة و قلبها أبيض ، فتحية إليها أينما كانت هنا في الأرض أم انتقلت بجوار ربها..

روان

ممتلئةُ القوام ، طويلة إلى حد ما ..فقيرة في المال ، لكنها غنية بالمحبة.. أصرت يوما على زيارتنا لها في منزلها ، و لبينا الدعوة. كم كانت سعيدة و كم قدَّمت من كرم..هي و أهل بيتها.

بيتها كان بسيطا ، لكنه كان من النوع الذي إذا دخلتَه تشعر أنك في فردوس من فراديس الجنة لشدة محبة أهل البيت و كرمهم.

غادة

ممتلئة قصيرة . من بلدة مجاورة لنا ..اللغة الأولى لها هي اللغة الفرنسية .لا تحب اللغة الإنجليزية ، و تحب اللغة الفرنسية كثيرا..كنا نتبادل معها المعلومات حول اللغتين ، كانت مولعة بقصة غادة الكاميليا

سمر

متوسطة في كل شئ..

رأيها ، طولها و قوامها حتي حالة الأسرة المادية..حكيمة كحكمة سهير الليِل..لا تتكلم كثيرا و عند إبداء الرأي تقول جملة أو جملتين فيهما المتخصر المفيد..

مارجريت

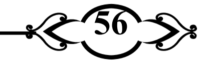
طويلة جميلة إلى حد ما.. لا تحب المذاكرةَ ، و هذه الصفة أودت بأحلامها العميلة مبكرا. كانت تود أن تعمل مراقب مالي (audit) لذلك حولت إلى دبلوم تجارة ، و هي أول من تزوجت .

ريهام

أتت إلينا من القاهرة بعد وفاة والديها ، تشبه الدمي في جمالها و رقتها ، خطبت لأحد الأثريا و نحن في الصف الثاني الثانوي ، و تزوجت و نحن بالصف الثالث و لم تكمل تعليمها..تشبة السيدة جيهان السادات في صغرها إلى حد كبير..هل تعرفَ السيدة جيهان السادات؟.بالتأكيد درستَ بالمدرسة الرئيس محمد أنور السادات صاحب قرار الحرب و السلام ، و السيدة جيهان هي زوجة الرئيس السادات ، رحمة الله عليها.
هؤلاء الثماني هن رفيقاتي بالصف الأول و الثاني الثانوي.

في الصف الثالث انتقلت عند خالي ، و كان في الفصل ثمانية طلاب أيضا غيري.. ثلاثة أولاد وخمس بنات..جيهان التي ارتبطت بها كثيرا..نجية أيضا ظلت علاقتي مستمرة بها و لم تنقطع حتي الآن ، حبيبة ، دعاء و رجاء.. كانت علاقتي بهن على الهامش.
أنهيت المرحلة الثانوية بمجموع ضعيف بسبب مرضي ، و انتلقت إلى الجامعة بالصعيد ثم بورسعيد..
رفض خالي أن أحجز في المدينة الجامعية و التي أتضح بعد ذلك إنه ليس لنا مدينة لأن الكلية تتبع التعليم العالي ، كنت أود أن أقللَ الديون قدر الإمكان. أول يوم تعجبتْ مني الفيتاتُ اللائي جئن إلى ليواسونني ..
و لما رأوني غير مكترثة و كأني ولدت بهذا البيت ، تركنني و ذهبن لغيري.. هناك فتيات منهارات ، فقاموا بمواساتهن و طمأنتهن..
و مضت أول سنة ..و التقيتُ ماريز بالسنة الثانية ..كما سبق و أخبرتكَ.

" من عيّر صديقه قطع الصداقة"



الباب الثاني
الفصل الثالث
حُلت الضفيرة

أول يوم لي في بيت الضيافة جئت مع اثنتين من مواطني في سيارة خاصة.
كانت واحدة منهن عقدت صفقة مع أخيها - سوف نعطيه ثمن الوقود ، فجاء نجدة لي و خاصة أننا سوف نعبر معديتين..
أخذتُ ملابسَ و بطاطينَ و بياضات ، و مجموعة أوان ذات الحجم الصغير للطهي ، و ملاعق و أطباق و أكواب و غيرها... وصلت البيت استقبلتني الفتياتُ بترحاب شديد و لما علموا أنني لا أعاني فوبيا الفراق ، تركوني و هن مشجعات شادَّات على يدي.. ثم انضممت إليهن بمواساات البنات..
اندهشت لمنظر بيت الضيافة.. يقع داخل سورِ الكنيسة ، و بين بابه و باب الكنيسة القبلي..حوالي أربعة أمتار فقط.. مَنَ في الكنيسة يسمع أصوات البنات ، و من في المبني يسمع أصوات الصلوات التي بالكنيسة..بإيجاز شديد سوف أعيش في الكنيسة كما كانت أمي العذراء تعيش في الهيكل ، و كنت سعيدةً بذلك غاية السعادة..
جاء اجتماع الصلاة الأول و شاركت فيه بجَرأة و شاركت في النقاش..
و في بداية شهر ديسمبر وجدت فتيات نازلات للكنيسة ليلا و يسألونني هل ستحضرين -تسبحة سبعة و أربعة : - تسبحة كيهك- للصباح..؟!
صمتُّ برهة و قلت نعم سأحضر..لأني أحب الصلاة كثيرا..
لم أكن أعرف ما معني تسبحة..
نزلت لأتابع في صمت..
و قبل أن تبدأ التسبحة وجدت أحد الأباء فملت بهدووووء إليه
(................تسعة): ما هي التسبحة يا أبانا؟(أبونا)

الكاهن:التسبحة هي ترانيم ذاتُ كلمات و ألحان من الطراز القديم ، و تسبحة كيهك تقام في شهر كيهك و حتي عيد الميلاد : و هي عبارة عن سبع (ثيؤطوكيات)
و أربعة (هوسات).
السبع (ثيؤطوكيات) و هي جمع لكلمة (ثيؤطوكية) و هي كلمة تعني (تمجيد خاص بالعذراء مريم والدة الإله) و معناها باليونانية (حاملة الإله).
و الأربعة (هوسات) و هي جمع لكلمة (هوس) ، و (الهوس) كلمة قبطية معناها:التسبيح
و الأربعة هوسات هي أربعة نصوص من الكتاب المقدس و هم :
الهوس الأول : و هو تسبحة موسي النبي ، بعد عبور البحر الأحمر (خروج 15) ،
الهوس الثاني : هو مزمور (135) أشكروا الرب ، و هو تسبحة الشكر ، الذي تقدمه الكنيسة لله من أجل محبته الذي أنقذنا و يقوينا بحنانه و يرشدنا بروحه القدوس الساكن فينا ، أن الشكر هو طبيعة الكنيسةِ المجاهدة كل يوم .
" لأنه ليست عطية بلا زيادة إلا التي بلا شكر " (مار إسحاق).
فنشكر ربنا لأنه يحتمل ضعفنا و يغسلنا من وسخ العالم بالتوبة و الإعتراف ، و يقودنا من مجد إلى مجد .
الهوس الثالث : و هو تسبحة الثلاثة فتية القديسين ، و هي تتلخص بأن الملك أمر بإلقاء الثلاثة فتية في أتون النار ورغم أن النارَ لم تنطفئ ، لكنها لم تمسهم بأي أذي ، و اكتشف الملك وجود شخص رابع يمشي معهم شبيه بابن الإله(حسب عقيدة الملك) ، و الكنيسة من خلال هذا الهوس تعلن أن نار العالم لازمةٌ للتجربة .
الهوس الرابع : و هو عبارة عن كلمات المزامير الثلاثة (148 ، 149 ، 150) و كلها عن التسبيح ، و التسبيح هو عمل الملائكة و عمل الكنيسة الدائم في السماء ، و عمل قديسيه ، و الخليقة الحيوانية و النباتية و

المادية ، و يتمجد الله في صورة منقطعة النظير في قديسيه فنقول (سبحوا الله في جميع قديسيه) ، اللغة الأصليه للتسبحة هي القبطية.
شكرتُ –أبونا-.. و وقفت صامتةً استمع..
الألحانُ قبطيةٌ قديمة فعلا ، منها ما كان يُستخدم فى صلوات أجدادي المصريين ، و عندما اعتنقوا المسيحية وضعوا كلمات عليها..
و عندما دخل العرب مصرَ..حُوِّل المُرتِل القبطي النصوص إلى العربية موزونة كأنها كتبت بالعربية ، و أحيانا اللحن يقال باليونانية و العربية و القبطية أرباع..
أي كل جزء يُقال بلغة..
و أضافت لي إحداهن ..أنه كان المصريون في فرنسا أو ألمانيا أو أي بلد أجنبي...
يرابعون بلغة البلد..هنا تظهر عظمة الإنسان المصري..
فنان بالفطرة ..و الرب في فمه و عقله يرشده و يسنده.

و كنت أقضي أيام التسبحة طيلة الليل في الكنيسة ، من التاسعة مساء للسادسة صباحا ، نصلي و نرنم.
كنت في الماضي أتعجَّبُ..كيف صمد أبائي و أجدادي أيام الإضطهاد و نالوا أكاليل الشهادة.. لم أكن أعلم أنهم كانوا يصِلون الليلَ بالنهار بالصلوات و العبادات..
و إن لهم صلةَ مباشرة مع الخالق..هم أصدقاء أوفياء لخلٍ وفي ، كريم ، قدير ، محب ، رحيم ، رحمن و كبير.

و جلستُ أفكر أول يوم بعد التسبحة..
كيف لي و أنا قبطية لا أعرفُ ما هي التسبحة..؟!.إن معلوماتي عن الذين الإسلامي أضعاف مضاعفة عن المسيحية ...مفردات كلماتي كلها إسلامية.
و سألت نفسي ما هي هويتي؟!
هل أنا قبطية و في اللفظ تنصل من الهوية العربية؟!
أم أنا عربية .....و لكن جذوري لست عربية.



أنا قبطية ....لا أتحدث القبطية .
و لست عربية ....و أتكلم العربية.
التسبحة و القداس و معظم الصلوات باللغة العربية.
و البابا شنودة الثالث يعشق العربية ، و يكتب أدبا: نثرا و شعراً.
و أنا أيضا أعشق العربية مثله.
و ماذا عن القضايا العربية؟
فلسطين..!!
(هل تعرفَ شيئاَ عن قضية فلسطين؟! كانت قضيةَ كبيرةً و شائكة ، و تم حلها منذ الثلاثينيات ..
تذكرْ أنا أحدثكَ من العِقِد الأخير من القرن الماضي انقضي نصفُ قرن على هذه الاحداث)
آه نعود لذكرياتي..
الأصوات القبطية الخفية تقول في الخفاء ، لا شأن لنا نحن المسيحيين بقضية فلسطين.
البابا كيرلس السادس منع الحج إليها ، و أكمل القرار البابا شنودة الثالث ..
و ماذا عن إخوتي في ليبيا؟
هل هم إخوتي أم إخوة الملسمين فقط؟!
و السودان و المملكة العربية السعودية(لا تتعجب جمهورية السعودية العربية الآن. كانت مملكة)..
فكرت كثيرا ... وقررت....
أنا مصرية قبطية عربية..من شعب الله المختار كما المسلمين..
ألم يقل الله في سفر إشعياء "مبارك شعبي مصر"(اش25:19)
قبل مجئ المسيح بسبعمائة عام..
لم تكن مصر وقتها يهودية و لا مسيحية و لا إسلامية.
كانت مصر وثنية ، و دعاها المولي "شعبه"
إذن مصر شعب الله المختار..
أنا مصرية قبطية عربية..

قبطية الهوية عربية الهوي..
أحب أخوتي في فلسطين ، الذي كان منهم القديس (مارجرجس الروماني الفلسطيني الجنسية) الذي معظم كنائس مصر على اسمه.
و أحب إخوتي في ليبيا ، الذي منهم مار مرقس كاروز الديار المصرية..
و أحب إخوتي في سوريا الذي جلس على الكرسي البابوي اثنان منهم ، البابا سيمون الأول رقم 42 والبابا ابرام بن زرعه رقم 62 و الكثير من قديسي البرية كانوا منهم .
و إخوتي بالسعودية ، و القديس (حاتم الطائي) مثال العرب في فضيلة العطاء.
و إخوتي في السودان و جمهور القديسين السودانيين الذين عرفتهم برية (شهيت)..
و كل بقعة في وطني العربي..
إن لم يربطنا الدين تربطنا اللغة.
و أنا عود في حزمة ، إن أنا قويت قويت الحزمةُ ، و إن ضعفت أنا ضعفت الحزمة ،
حزمتي قوية لي أنا عزوة و سند. حزمتي ضعيفة لي أنا الخزي.
لابد من الإتحاد العربي.... و إلى الآن و المحاولات تبوء بالفشل.

"مبارك شعبي مصر"

الباب الثاني
الفصل الرابع
على الهامش

في بيت الضيافة تعلمتُ التدبير ..
كيف أتدبر أمري؟.. و كنت قبلا لا آكل إلا أنواع معينة ، و لا آكل الطبيخ (البائت) ، و الخبز لابد أن يكون بمواصفات معينة ، في بيت الضيافة أصبحت آكل أي شئ في أي وقت بأي شكل.
تعلمتُ الطهي للنوع الواحد بأكثر من خمس طرق.
ذات مرة أكلنا المكرونة بفلفل أسود فقط ، لأننا لم يكن لدينا لا زيت و لا ملح و لا أي شئ سوي المكرونة و الفلفل الأسود..
تعرفتُ على أكلات لم أعرفْها أو أسمع عنها من قبل.. أكلات من الصعيد الجواني كالكشك و العيش الشمسي. ، و من الساحل عرفت (السرونباء)..و من المدن الكبيرة تعلمت طريقة (الروستو) و (الباشميل).
و أصبحت مسئولة مسئولية كاملة عن أقوالي و أفعالي.
و أصبحَ مستقبلي في يدي من حيث الدراسة و العمل و الجهاد في الصلاة و الصوم ، لا يوجد أي مرشد.
تعلمت الكثير و رأيت الكثير ، و في قصص الناس العبر.
وفي بيت الضيافة تعرفت على الكثير منهن و عشت قصصهن ، سعادتهن و مآسيهن ، فرحهن و دموعهن ، نجاحهن و فشلهن ، عشت جميع الحالات ، و رأيت و عاينت جميع الأحاسيس ، و لمستُ جميع العواطف و نظرت جميع المشاعر..
لكن التجربة الفعلية الخاصة بي عشتها لاحقا.
و هذه هي بعض النماذج من الشخصيات و الحالات..

جيجي فوزي

قصيرة بيضاء مكتظة بعض الشئ ، من المنيا ذات أخلاق رفيعة ، متوسطة الحال ..عزيزة النفس ..تربت على الأصول و الواجب.
جيجي هي التي اكتشفت أني في غيبوبة يوم أن فقدت الوعي.
عندها روح فرز و تمييز و خدمة ، كانت تخدم الجميع و تعلِّم الجميع ، انتقلت للعيش معي في حجرتي في العام الثاني لي هناك.
لديها مرض مزمن تحتمله بصبر و رضى.
أحبت بيشوي زمليها بالجامعة ، كان بيشوي رجلا بمعني الكلمة في الشهامة و المحافظة على البنات... كل البنات.
كان يعمل مع دراستة حرفة رفيعة كأخلاقه و أخلاق جيجي ، كان يصنع ألة العود.
ذات مرة قابلته في القطار مع شاب لعوب من زملائه .
حاول الشاب محادثتي أكثر من خمسين مرة ، و في كل مرة كان بيشوي يقطع الحديث و لا يعطيه الفرصة..لم يملْ الشاب و لم يملْ بيشوي..
جيجي إنسانة وفيه.
ما يحزنني أنه في آخر سنة لها لم ألحق القطار لأودعها لأنها كانت تسبقني بعام ، فظنت أنني أهملتها عن عمد وظنت في السوء.. و لها كل الحق.
جيجي مثال للبنت الصعيدية بنت الأصول بكل ما تحمل الكلمة من معان..
بعد التخرج تزوجت بيشوي.. بعد سنوات كثيرة ، وجدتها في فيس بوك كان شوقي شديدا لشدة محبتي لها.

سناء الطبّال

كانت عكس شخصية جيجي تماما.
من القاهرة..تعيش دور الناشطة الاجتماعية و الخادمة الغيورة..تعيش دور ليس دورها..تلبس أشياء مبهرجة ، و تعوج فمها عند التحدث..
أتذكر أنني وقعت في خطية الإدانة بسبب هذه الشخصية الآف المرات ، كانت تحارب لتأخذ المكانة الأولى عند طاسوني مسئولة البيت ، لها

مواقف عجيبة و غربية.. في إحدى الحفلات قالت ترنيمة بأحد اللغات الغربية و أنهالت البنات بالضحك و علق سيدنا الأسقف(الأسقف: كبير كهنة الإبروشية (المحافظة) و هو رتبة وسط أقل من البطريرك وأكبر من القمص(الكاهن) .." هذه ترنيمة أجنبية أم عراك أجنبي ...!!"
بينما في نفس الحفل قدمت فتاةٌ رقيقة ترنيمة باللغة الفرنسية و كانت ترتدي فستانا أبيضا و أخطأت وبكت..فقال لها سيدنا - الأسقف -" لماذا أنت متوترة ؟ ! لا أحد هنا يعرف اللغة الفرنسية قولي ما شئتِ "
هدأت الفتاة و أكملت الترنيمة بصوت ملائكي.
ذات مرة اضطرت ماريز للسفر فجاءة ، و كانت مازالت تسكن في حجرة منفصله عني..
عدت من كليتي لأجد خطاب منها ، أنها اضطرت للسفر و الطعام بأكمله في البراد (الثلاجة) ولي الحرية أن آكل و أطعِم من أريد من طعامها..
بالطبع لم أمد يدي على شئ لكني أعلنت للجميع أن هذا الطعام أصبح يخصني ، كي لايؤخذ منه شئ.
جاءت سناء الطبّال و استمرت أكثر من ساعة في الإلحاح على أن تعد لي كوبا من الموز باللبن..هي تعرض... و أنا أرفض..في النهاية و افقتُ.
ذهبتْ وأعدت كوبَ الموز باللبن و جاءت به ، و كان غاية في الجمال..
رشفت رشفة و وضعت الكوب.. فناولتني الكوب بيدي مرة أخرى و لم تتركني حتي تأكدت أني شربت الكوب كله. ومضت..
عندما عادت ماريز من السفر ذهبت سناء إليها و نصحتها بالابتعاد عني.
سناء: ماريز ممكن أقدم لك نصيحة؟!
ماريز: تفضلي.
سناء : (.......... تسعة) تستغلك حتي تأكل من طعامك و تأخذ نقودك..
ماريز : لماذا تقولين هذا الكلام؟!
سناء : لأنك عندما سافرتي فجاءة ، لم تجد من تستغلة ، فأتت إليّ و حاولت أن تأكل مما لدي طوال الأسبوع
ماريز : و هل أعطيتها طعام؟
سناء : نعم .



ماريز :لماذا!
سناء : عطفت عليها.
ماريز : أشكرك للنصيحة.
سناء: لا تدعيها تستغلك مرة أخرى..
ماريز : أنت قدمتِ لي النصيحة و أشكرك أما معاملة (........... تسعة) ليس شأنك.

تفقدت ماريز طعامها وجدته كاملا ، و لم يؤخذ منه شئ و لم يُسرق منه شيئ مثل كل مرة..
فجاءت إليّ ماريز قائلة..
سوف أخبركِ بموضوع سئ لكن لا تغضبي و لا تعاتبي..و قصت عليّ الموضوع. بعدتُ عن هذه الفتاة ، و لم أتعامل معها مرة أخرى..
الطبّال هذه كانت اسم على مسمي. و هذه الفتاة الأولى التي لم تحبني. أما الثانية ذكرني عندما تريد سماع قصتها..

جيهان بسطا

كانت من الصعيد أيضا.. هي أجمل وجه رأته عيناي في حياتي.. كانت على خلق..و طموحها عال.. كانت قد حصلت على دبلوم متوسط ثم ذاكرت ثانوية عامة و التحقت بكلية التجارة.. كانت كبيرة في السن تخطت 25 سنة ، و حنانها جذب البنات إليها ، و جمالها جذب معظم الشباب و كل يوم تأتي البيت و يأتي خلفها العرسان ، أخيرا جاء -حبيب - شاب يعمل بأحد بلاد أوربا ، كانت مخطوبة له من فترة و تزوجا ، كان -حبيب- وسيما بنفس درجه جمالها..
جيهان بسطا كانت تأتي إليّ و تشير على رقبتي و تقول لي "الله ...سمة الجمال عندك"
فأجيب عندي أنا يا جيهان؟
تجيب نعم ياليتني أملكُها.

سمة الجمال هذه ، هي بروز عظمتي أعلى الصدر..
تخيلْ إنسانة جمالها متواضع جداً تقول لها فتاة من أروع من خلق الله..
"أنتِ اجمل مني"..
لاتتخيلْ شعوري بالفرحة..لم أكن أصدق إنني الأجمل بالطبع..لكني كنت أفرح لهذا النقاء و هذا الأسلوب البسيط العبقري في تشجيع صغار النفوس..
ظلت معنا سنتين و هي متزوجة ، لم نشعر يوما أنها متزوجة و نحن بنات(عذاري)
كانت عذراء مثلنا ، ربما كانت أكثر عذرية من نماذج أتت للبيت أخر عام لي في البيت.
أنهت دراستها ، و سافرت إلى إحدى بلاد أوربا و استقرت هناك مع زوجها.

أزهار الشامي

فتاةٌ جريئة..تقابل حبيبها في شقته ، كانت تحكي للبنات عما يحدث..كانت متوسطة الطول..ذات شعر قصير ، و هاوية لجمع العطور ، كانت تحب عطورَ الورد و خاصة عبيرالورد البلدي ، هي من إحدى المدن الكبرى..جريئة مفعمة بالحياة.
أزهار الشامي رغم إنحلال أخلاقها في نظر بعض البنات إلا أنها كانت متصالحة مع نفسها ، صريحة ، تقول ما تفعل و تفعل ما تقول ، كانت تحترمني لكوني عفيفة و ذكية..عكس بنت كرهتني بشدة لا لسبب إلا أنني لا أصادق مثلها ، كانت أزهار تأتي لحجرتي بكل احترام كأنها ذاهبة لحجرة راهبة و تطلب صلاتي..أنا أيضا كنت أحبها و استريح لها.. كانت تحترم و جودي فلا تلفظ بأي لفظ قد يعكر نقائي..كانت تقول لي "أنتِ بركة هذا البيت" لا أعلم لماذا مع أن البنات العفيفات كن يملأن البيت..؟!

وردة

وردة هذه ابتلينا بها و أنا بالفرقة الثالثة..و رغم أنها أقل مني بالسن إلا أنني كنت أنزعج منها جداً..كان الخوف يملأ قلبي عند رؤيتها ..
لماذا ؟!.. لأنها كانت شاذه جنسيا.
كانت فتاة منكبة على نفسها و شخصها فقط ، جسدها سيطر عليها..
كانت تأكل و تشرب و تنزل للصلاة ، مع أن هذا ليس من طقوس الكنيسة (طقس بمعني نظام و ترتيب) لابد أن تكونَ على صيام كي تحضر القداس.
سألت - طاسوني -..
لماذا قبلتيها في البيت؟
أجابت لئلا تضيع بالخارج.. و سوف أخبرك وقت آخر..قبلتها و أخبرتكم جميعا عنها..
و في الحقيقة تلك المرة الأولى التي تفضح -طاسوني- سر بنت من بنات البيت..لأنها أصلا مفضوحة.
لماذا سمحت طاسوني بسؤالها أو مناقشتها؟
لماذا أنا بالذات؟!
تلك قصة طريفة سوف أحكيها لكَ...
و أنا بالفرقة الأولى..كانت إحدى مواد الدراسة مادة "دراسة المتاحف و المعارض" و كلفت بعمل بحث عن تنظيم المتاحف بحكم دراستي السابقة، و كان للتنظيم نقاط كثيرة نصفها في الصباح و النصف الآخر في الليل كالإضاءة و إظهار الزوايا المهمة للتمثال أو المعروض...الخ..
اخترت متحف بورسعيد الذي يقع في طرح البحر في منطقة -ديليسبس -، و- ديليسبس- كانت منقطة للنزهة و خاصة العشاق أيام الشتاء..
ذهبت – لطاسوني - أستاذن منها للذهاب للمتحف و أني سأتأخر عن الساعة الثامنة مساء ، و لا أعرف متي سأنتهي...
قالت لي"أذهبي و عند عودتك احضري عندي هنا
" قالتها بحدة و غضب "..

ذهبت للمتحف فوجدته مغلقا و لا ينفتح للجمهور إلا فى الفترة الصباحية فقط..
عدت إليها.. طرقت الباب فأذنت لي بالدخول و هي مبتسمة.
طاسوني: لماذا عدت مبكرا؟
(..................تسعة) :المتحف لا ينفتح للجمهور الفترة المسائية.
طاسوني: (ضاحكة) نعم المتحف لا ينفتح في فترة مسائية.
(..................تسعة): و لماذا لم تخبريني؟!!

ضحكت - طاسوني- و لم تجب.
و منذ ذلك الحين لا تسألني عن شئ .
و كانت أحيانا تستشيرُني في بعض الأمور.
نعود إلى ورده تلك الفتاة الشاذة لم تكن تكلمني أبدا ، كنت أراها على السُلم كانت تبعد عني و حسنا كانت تفعل..لا أعرف أن كانت أفسدت احداهن أم لا...الله هو الديان...

فيفيان

كانت من الصعيد أيضا.. و كانت أنيقة أناقة سيدات الطبقة الراقية .. كانت كبيرة عنا لأنها حصلت على دبلوم متوسط بمجموع كبير و منه إلى معهد تجاري و منه ، إلى كلية تجارة ...و لكنها كانت فشارةً..كانت تحكي لنا مغامرات سندباد و السبع بحارة على أنه أحد أقاربها حدث معه كذا و كذا.. و لو راق لها أحد المقتنيات تطلب نسخة منها . كانت تضع لمساتها في كل شئ..كانت تبالغ في كل حكاياها.. كنا نأخذها وسيلة للترفيه والتسلية فلم يكن هناك تلفاز أو مذياع (راديو) بالبيت ... كانت لطيفة.

سوسن

كانت طويلة متوسطة الجمال ، كانت من بحري ، كانت من ذوات ضيق اليد ، فتضطر للسرقة ، كانت تسرق الطعام فقط لتعيش ، في السنوات التالية حينما ازدادت أعداد البنات بالبيت ، عرفنا أن سوسن قديسة ، لأنه ظهرت أنواعٌ غير آدمية ، تسرق كل شئ.. الطعام و النقود

و المذكرات و الملابس... و أي شئ يمكن سرقته.سوسن أنهت معهدها سنتين و غادرت بسلام.

كامليا

كانت إسكندرانية ..في معهد تمريض..كانت تود أن تكمل كلية الطب ، كانت متوسطة الطول ، وجهها مثل الملائكة كوجه فاتن حمامة .
هي عاقلة ، متزنة ، مُحبة و معطائة ...
خلفيتها الثقافية ممتازة ، كان والدها محام..و كانت تحكي لنا عن المآسي التي تراها..
ذات مرة ظلت ثلاثة أيام لا تستطيع النوم..لأنها أضطرت مع زميلاتها أن تحمم مريضا..هذا المريض كان والد أحد زميلاتي بالكلية..
كان طيفها كطيف القديسين.. كلامُها ، نظراتها ، حياتها ، مملوءة بالعفة و الطهارة.
كانت دائما مشغولةً و مهمومة بدراستها. لم أعرف إن كانت حققت حلمها أم لا ! إحدى قريباتي قابلتها ذات مرة في و لاية تكساس (الامريكية) و أبلغتني تحياتها.

ماريا

كانت ابنة أحد الأباء الكهنة..كانت هادئةً..مطيعة و صفات أخرى كثيرة حلوة..لكنها كانت بخيلة..أتذكرها من بين عشرات البنات ، لأنها كانت على نقيض..المرة الأولى التي أجد ابنة كاهن و بخيلة..عادة أبناء الكهنة كرماء لا تعرف شمالهم ماذا أعطت يمينهم تلك كانت حاله شاذة...

كان هناك نماذج أخرى عجيبة و مبهرة ، لكن أظنها منتشرة.. كالتي لا تمل من الكلام عن الحب أو الجنس أو الحبيب..أو التي ترقص على أي نغم حتي على الكلام العادي..
كانت أيضا هناك فتاة من فتيات الليل ، تلك الفتاة أعتبرها عفيفة ، لأنها أجبرت على المضي بهذا الطريق.. أجبرت من أمها ، قاومت لمدة سنتين ثم استسلمت في النهاية ، لم تكن تلفظ أي لفظ خارج و كانت تخاف على

جميع البنات دون تمييز.. أيضا كان هنا المسالمة و العنيدة و المتكبرة و صغيرة النفس ....و غيرهن أهم درس تعلمته من هولاء البنات هو قبول الأخر كما هو .. كنت حينها متزمتة و متمسكة برأيي و لا أحب التعامل مع أي طائفة مسيحية غير الأرثوذكسية ، ثم تصادقت مع فتاة و عشت معها سنتان في حجرة واحدة..و عندما كادت أن تغادر صراحتني أنها ليست أرثوذكس و أنها أخوة (بلاميس)..صعقت و لكني تقبلت الدرس و اعتذرت و فهمت أن كل الناس هم عبيد لله لهم حريتهم في الإختيار.
أما عمن أصطفيتهم من البيت فهن.

ماريز

بالطبع ماريز لم تتكلم عن نفسها..ماريز كانت و مازالت إنسانة مميزة..لها عقل يسبق سنها بعشرات الأعوام ، تعرف كيف تعيش اللحظة ، تحب وقت الحب و تنفصل وقت الانفصال ، تشكر وقت الشكر و تزجر وقت اللزوم ، تجامل وقت المجاملة ، و تلقي بالحقيقة كالصخرة في وجهك و قتما يلزم الأمر.

طلبت صداقتي و لم أكن أتخيل أن بنت الذوات هذه سوف تطلب صداقتي.. متفتحة و لها أسلوبها الخاص و الساحر في كل شئ..في الكلام ، في الجلوس ، في الضحك ، حتي صارت أيقونة المنزل كله..
لم تكن متفوقة دراسيا بالقدر الكافي لكنها شخصية لها كاريزما خاصة.
ماريز واحدة من ثلاثة قدموا لي الخير دون مقابل..ظللت علاقتها معي جيدة ،

حتي بعد أن أنهينا الدراسة و نزلنا سوق العمل..ظللت أتصل بها أشكي لها همومي و هي تعزيني ..كنا أحيانا نتقابل فنتبادل الهدايا..أول خاتم ذهب أقتنيه كان هدية منها..
نزلتُ سوق العمل و أصبح لي مالي الخاص ، و اشتريت ذهبا و ملابس و كل ما أشتهي..

و عندما اضطررت لبيع الذهب احتفظت بهذا الخاتم ، مازلت أحتفظ به حتي الآن ، و سأوصي ابنتيّ بعدم بيعه لأنه رمز للمحبة. هي قصيرة لكن قلبها كبير و عقلها أكبر..

علاقتها بوالديها أكثر من رائعة..علاقه مثالية. و أخر مرة اتصلت بها كانت قد تزوجت ومعها ولد .و انفصلنا فترة من الزمن .

لماذا ؟!!!

لأني أشفقت عليها من كثرة أخباري الحزينة..مللت من إخبارها بأني لست بخير ، و كان عند ميلاد ابني البكر..قلتُ حينما تتحسن حالتي سأتصل بها ..و عندما تحسنت حالتي..

كانت التليفونات قد تغيرت و هي تتصل ببيت خالي فيكلمونها بلطف و لا يخبرونني شيئا.. فقدتها عشر سنوات. ثم عرفت عنوانها فأرسلت خطابا لها..

حبيبتي ماريز:

أروم أن تكوني بسلام و في كامل الصحة و العافية ،
اشتقت إليك كثيرا ، و أتمني أن تكوني في أحسن حال،
كيف حال زوجك و والديك؟
و ولدك الجميل..؟
لا أعرف إن كان قد أعطاكي الله آخرا أما لا ،
قلبي يحدثني أن الله رزقك بولد آخر،
أكاد أن تلمس روحى روحَك كل مساء..
أشعر بضيقك و فرحك..
أشعر بجميع حالاتك..
أما عن نفسي ، فأنا وصلت لسن التسعين.
كأني جربتُ كلَّ شعور في الدنيا..
لا أريد من الدنيا شيئا إلا مكانا آدميا أعيش فيه..
أشتاق للخروج من الجسد ، لكني أشفق على أبنائي مازالوا خضرًا..
أحيانا من الضيق أتمني لو أني لم أولدُ ، و أعود لأستغيث برب المجد..
وحدها المرارةُ هي التي تجعلُ الإنسانَ فليسوفا..

وحده الألمُ هو الذي يجعلُ الإنسانَ متخطيا حدودَ الزمان والمكان..
هذا كان حال حياتي إلى وقت قريب..
أما الآن فأنا بحالةٍ جيدة ..
اشتريت بيتا ، و أصبحت في وظيفة مرموقة..
نشكر الله على كل حال..
وصلت بمعجزة إلى عنوان عملك ، تلفنت مقر عملك أفادوا :أنك سافرت خارج البلاد و لا يعرفون العنوان ، أرجو عند عودتك أن تجدي خطابي هذا.
سلام الرب يكون معك و يملأ حياتك.
صديقتُك (................... تسعة)
وكتبت رقم تليفوني و عنواني ، و عنوان الفيس بوك ، و لكني لم أعثر عليها إلا بعد خمس سنوات
بحثت عنها الآف المرات عبر الفيس بوك ، باسمها أو بأسماء مشابهة كانت تحبها مثل ماريان و مارو ، و اسم زوجها و اسم أبيها و اسم ابنها.. لم أجد شيئا.
إلى أن أراد الرب و تجمعنا أنا و هي و مجموعة البنات في يومين اثنين ، و عرفت أنها بخير ، و إن لها الآن قلما.. سِنه من الألماس ، و مِداده من الذهب الإبريز تخط به على الورق ، فترسُم مشاعر حية ، و شخصيات حقيقية تتعجبْ كيف استطاعت أن تعبِّر عن مشاعركَ بكل هذه الدقة.. نصوص كتاباتها و تأملاتها لا يكن لديكَ اختيار أن تعجبَ أو لا تعجبَ ..بالطبع ستُحبها..
لم أتحادث معها منذ أن وجدتُها..لفترة طويلة -عدة سنوات- ربما ألمَ بها ألم سأعرفه إن حادثتني..!
سألتها عدة مرات عن أحوالها ، تجيب أنها بخير..تمنيت أن تكون كذلك. قابلتُها أخيرا و سأخبركَ بالتفاصيل حينما أتذكر...

حنان صفوت

كانت من الإسماعيلية. و كانت جميلة جداً ، و تعرف أنها جميلة ، كانت بسيطة أشد درجات البساطة ، حتي أنها عندما تذهب لشراء طعام تسأل البائع عن ثمن نوع ثم تطلب من البائع أن يعطيها نوع آخر. تسأل عن الجبن الأبيض ثم تطلب الجبن الروميّ . كان في استطاعتها أن ترسم البسمة على و جوهنا مهما كان حالُنا..كانت تقول "أني أعيش ببساطة و من يتقبل بساطتي أمين.. و من لم يتقبل فإني غيرمسئولة عن ضميره. أنا مسئولة عن ضميري".. كانت مخطوبة و فجاءة فسخت الخِطبة.. و بعد مدة خُطبت مرة أخرى و تزوجت..كان لديها إيمان الأطفال و كانت أمنياتها تتحقق..دخلت مجالَ العمل ، و مرت عليها طاحونة الحياة هي الأخرى..

حنان فهيم

كانت من بورفؤاد ، لكن والديها يعملان في الخليج..كانت طويلة ممتلئة القوام ، خفيفة الروح و الظل..في البداية كانت حريصةً من الكل..و لكنها سرعان ما اندمجت معنا..كانت الوحيدة بالبيت التي معها كل شئ :خزين للعام كله..طعام ، مناديل ، صابون و (شامبو)... و كافة شئ. إحساسها بالغربة كان موجودا رغم أنها تعيش في بلدها ، لكن أبويها غير موجودين..كانت تحكي لنا عن أشياء خيالية بالنسبة لنا في نظم التعليم بدول الخليج ، كانت تتمني أن تكون مصر بهذا التقدم و الإهتمام بالتعليم. مر أكثر من ثلاثين عاما حتي تحقق حلمُها ، كان لديها إيمان بأنه سيآتي يوم و يتحقق و فعلا تحقق.. الله قادر على كل شئ.

هلبيس

كانت مواطنة ماريز..و لكنها معي في الكلية فى قسم آخر..كانت طويلةً سمراء و شعرها طويل..أحيانا تراها طفلةً تغضب و تعارض..و أحيانا تراها أما كبيرة لجميع الموجودات.. كان لديها ميزة ..أنها تستطيع حل أي مشكلةٍ بالصراحة و المواجهة . حافظة هي للسر أمينة في

صداقتها..عطوفة و عاقلة.. و كان سلامها دائما إيريني باسي..أي (السلام لكم) باللغة القبطية.

رانيا

كانت بسيطة هي الأخرى..قلب أبيض و نية صافية..متوسطة في الدراسة..لا تحسِب حساب الغد. يبدو أنها كانت أجمل مَن فينا مِن الداخل و الدليل ، أن رحلتها انتهت مبكرا ..أصبحت لنا شفيعة في السماء ..

جيجي فوزي

و سبق و حكيت لكَ عنها

أيتن رُحيم

كانت أيضا مواطنة ماريز..كانت سمراء قصيرة إلى حد ما ، نحيفة إلى حد ما..معي بالكلية لكنها بقسم أخر. كان إيمانُها بالله عظيما ..كان هناك أب كاهن عجوز..كان بركة كبيرة. في الامتحانات كانت تصرُ على مقابلته قبل الامتحان ، و كانت عادة أبونا يوسف أن يضرب من يسلم عليه على رقبته (قفاه) ، كانت أيتن تسلم عليه و إن نسي يضربها تذكرة ، اليوم الذي لا تجده كانت تبكي و تقول سوف أرسب في هذه المادة وبالفعل اليوم الذي لا تسلم على قدس –أبونا- يوسف كانت ترسب في المادة.

ارتبطت بأحد أبناء بورفؤاد و تزوجته و أنجبت . زوجها أيضا كان أحد الأشخاص الرائعين. كان له مظهرا فاتنا ملفتا للنظر و من أسرة غنية. كان يضع نفسه لخدمة جميع بنات البيت..و كان صبورا كصبر أيوب .الرب يعوضه خيرا.

أيتن بديع

لم تكن من بنات البيت كانت من بورسعيد..بيضاء متوسطة الطول جميلة جدا .كانت زميلتي بالكلية.

. أول يوم بالكلية ، جاءت فتاتان في الكلية و جلستا بجابني بهدوء و سألتني إحداهما..هل أنتِ مسيحية ؟أجبت: نعم و الآخري سألتني أنت فرقة أولي قسم تكنولوجيا تعليم !! أجبت نعم. فقامت إحداهما وهمست في أذن أيتن بنفس الكلمات..ثم سحبتها من يدها ..و الفتاة الأخرى سحبتني من يدي و اجلسونا بجوار بعض..
و أوصوننا: أنتما في نفس القسم نفس الدفعة. كونا مع بعضكما لا تترك الواحدة الأخرى لأي سبب ، و مضيتا. لم أر هاتين الفتاتين مرة أخرى ..
و منذ تلك اللحظة و أنا و أيتن لم نترك بعضنا خلال الأربع سنوات دراسة..
لم نتشاجر مرة.
لم نتخاصم مرة.
لم نختلف مرة.
كنا بجوار بعض دائما كالصورة و النتجاتيف ، طبعا أنا النيجاتيف ، كان جمالها فاتنا حقا. هي أيضا بسيطةٌ تحب البيت و لا تحب المذاكرة .. علاقتُها بوالدتها كانت رائعة ...
أحببت تلك الأم التي أنتجت شخصيةً صبورة و متزنة مثل أيتن..
ظللتُ على علاقة بها بعد انتهاء الدراسة..و لكن كالعادة انقطعت علاقتنا فترة إلى أن بحثتُ عنها على شبكة الإنترنت و وجدتها .
كنا نتبادل الأحاديثَ كل فترة..أتعلَّم منها الهدوء ..و القناعة بما هو مقسوم..هي أيضا
"إمرأةٌ فاضلة من يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"
هولاء هن الثماني اللائي تصادقت معهن صداقة حقيقة أثناء الدراسة..
أما في الجامعة فكانت مجموعتي من البسطاء مثلي..
أيتن ، نيفين ، إيمان سعيد ، إيمان على ، نسمة ، فريدة و رشا و اثنتان كانتا تتغيران من سنة لأخرى من الزميلات في تكوين المجموعات العملية.
أتذكر في أحد المرات أثناء عمل أحد المشروعات لتصوير أحد المصانع في بورسعيد، مشينا من الأبوطي لطرح البحر (من أولها إلى

آخرها) نسأل أين مبني الأمن القومي ؟ و كلما سألْنا يستحي المسئولُ أن يقول لا أعلم فكان يقول أمامكم مباشرة ، إلى أن وصلنا لطرح البحر...
وقتها لم نعلم ما هو الأمن القومي..؟! فدخلنا بكل جرأة لنأخذ إذن بالتصوير لأن المصنع ملك للحكومية المصرية.. وجدنا المكان مَهيب يبعث على الرهبة و الخوف..
طلب المسئول مندوبة منا للتحدث عنا..ذهبت إيمان سعيد و غابت حوال ربع الساعة..و عادت مرعوبة و أشارت لنا بالخروج بسرعة شديدة.. و عند خروجنا قالت هذا المكان غير طبيعي.. حكت لنا على المصعد (الأسانسير) و الضابط الذي حدثته اسمه صلاح بك. صلاح بك هذا سأل إيمان :
من أنتم ؟!.. و كم بنتا في المشروع؟! و من أين؟
و عندما عرف باسمي ، وأني من بلد كذا قال لها: عنواني بالتفصيل ، طبعا صُعقت و قالت لي أي المصائب فعلتِ...
أنا لم أفعل شيئا ..ظللت أسبوعا لا أنام حتي عدت لخالي و حكيت له... فقال ضاحكا إنه صلاح ابن الجيران.
وعندما ذهبت للبنات أخبرتهم و أنا منفوخة مثل الديك الروميّ ، و كلما تكلمنا في موضوع أقول لهم سوف أكلم لكم صلاح بك و نضحك.
إيمان سعيد : علمتني الكثيرَ عن الحياة. ذات مرةٍ أردت أن أرى البحرَ فذهبت وحدي و جاءت مجموعة من الشباب و طلبوا مني الإنضمام إليهم ، و كانوا في سيارة.. و ضعت و جهي في كتبي و عدت دون أي رد فعل و هم خلفي بالسيارة ، و عندما حكيت لها نهرتني و قالت لا تفعليها مرة أخرى...و أخدتني هي إلى طرح البحر ، و هناك قابلنا شابا يدرس في الأزهر غير مصري..كان يسعي لعمل علاقات في الخفاء ، و كان مملؤا بالخوف لو فُضح أمرُه لأساتذته.. و طلب أسماءنا و أرقام هواتفنا .. ردت إيمان عليه بأسماء مستعارة و أرقام تليفونات غير موجودة..
و لما سألتها لماذا قبلت الحديث معه من الأساس ، كان يمكن إنتهاره من البداية؟! أجابت إنه غريب مكسور الخاطر .. كانت حنونة حنان الأمهات.
إيمان أيضا ""إمرأةٌ فاضلة مَن يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"

عملتني "أنَّ جبر الخواطر إحسان"
أما فريدة فكانت إنسانة مجتهدة تعمل و تعول أسرتَها ، كانت تكتب الملازم و ينسخ منها جميع الطلبة ، كانت تعمل تطريز الوشاحات بالخرز ، طلبت منها عملا فأعطتني ، و أتلفت أول وشاح أطرزه.. أنقذتني زوجة خالي و اشترته. تعلمت تطريز الوشحات ببواقي القماش و الخرز ، و عندما انتهت موضة الوشاحات ، عملت مشروع "توك" الشعر ، ساعدتني فيه كثيرا ، حاولت أن أبحثَ عن عمل ، لكن أباء الكنيسة رفضوا.
أما نسمة : فأحيانا كن نضطر للمشي من النشار مكان الكلية إلى بورفؤاد لأننا أنفقنا نقودنا لشراء احتياجات للانتهاء من الأعمال و تسليمها..و أحيانا من باب الترفيه. نسمة هذه كانت نسمة فعلا كانت كعبير الورد .
هذا و انتهت الدراسة بسلام.
"مَن أنت الذي تدين عبد؟ غيرك هو لمولاه"

الباب الثاني
الفصل الخامس
أزمة ما بعد الدراسة

هل مازلتَ معي أم مللتَ ؟ اصبرْ حتي أعطيكَ معلوماتٍ أكثر لكي تفيدَك حينما تكملَ عني و تتوقعَ التفاصيل بدقة.

أنهيت دراستي و ظللت ثلاثة شهور ببيت خالي ، أسوأ فترة في حياتي كلها.. أصبحت مقيدةً في تحركاتي .. كل شئ محسوب ..الطعام ، الحركة ..الإتصال بالهاتف...

كان الصيف و كأن صيف حياتي هو الذي جاء ، جفت جذور أحلامي..

و صرت بلا أحلام أو أمان أو أهداف أو طموح.. كنت كما شجرٍ مقبل على الخريف و سيكون عاريا من أوراقه ، و أزهاره ، و ثمارِه قبل الأوان..

و فكرتُ و تدبرتُ ..الشجر بعد الصيفِ يأتي الخريفُ ثم الشتاءُ ثم الربيعُ ، تتساقط أوراقه ثم تنمو أوراق جديدة و يستّعد للإثمار..فقررت أن أعيشَ الحياة بما فيها ، و أقبل بكل مآسيها قبل أفراحها..و قررت استكمال دراستي بدراسة الماجستير..و اتفقت مع خالي بزيادة الديون و إكمال تعليمي ..و سوف أسدد الديّن حين أدخل سوق العمل ...فوافق .. ثم عملت كسكرتيرة لخالي.. و كنت أذهب لدمياط لإكمال دراستي يوميا .

و لكن الله تفقدنى فجائني تكليفٌ العمل بالبلد الذي أعيش بها..تعينت و أصبحت أنفق من مالي الخاص..و حصلت على دبلوم خاص ..لكن الماجستير قضيت به أربع سنوات..لم أستطع حجز (السيمينار).

هناك زملاء قبلي و زملاء بعدي ، لنا سنوات لا يُعيرنا المشرفون أي إهتمام..

كان الطلاب يأتون من البلاد العربية لا تنتهي السنة يتم حجز (السيمينار) و المناقشة ، قد يناقشون الماجستيرأو الدكتوراة..و نحن متّهمون بركاكة

الأسلوب و ضعف اللغة العلمية و التكاسل و عدم الجدية ، مع أني بتوفيق الله في الدبلوم الخاص كنا أربعة و خمسين طالبا وطالبة..لم ينجح سوي سبعة طلاب و طالبتان فقط و كنت منهم.

و دراسات تمهيدي ماجستير فاق العدد الخمسمائة طالبٍ و طالبة ، اجتازها ثمانية و خمسون طالبا و ستون طالبة فقط و كنت منهم..

وظللت مع المشرفة ثلاث سنوات ..

مرة الأسلوب ركيك.. و أخرى غير علمي.. و أخرى أدوات البحث غير مناسبة..

و مرة و مرة و مرة.. إلى أن تغير المشرف..

و كان للحق جادا و أمينا ، لكني كنت قد كرهت ..لما وجدت أن العمر يضيع سدى..

قررت الزواج و حين يكون أصغر أولادي بالصف السادس أكمل تعليمي..

إذ أن المرأة المصرية نهايتها مطبخُ البيت في جميع الحالات ، و للحق هي وظيفة المرأة الأولى ثم تأتي بعدها جميع الوظائف.

"مبرَئ المذنب و مذّنب البرئ كلاهما مكرهة الربّ"

الباب الثاني
الفصل السادس
يهمس في أذني

كنت كل إجازة صيفية أذهب إلى قريتي لأخدم الأطفال (خدمة مدارس الأحد) طوال شهور الصيف يوميا..
في الصباح كنت أذهبُ مع أخي الكبير و زوجته للحقل للعمل به..و أسبقهم قبل الغداء لأعدَّ وجبة الغداء و أعدَّ الشاي..و نتناول الغداءَ مع العمّال ثم يستلقون للراحة جميعا ..أما أنا فأغسلُ الأواني التي بالمطبخ و أسبق جميع العاملين للحقل .. وفي تمام الساعة الرابعة و النصف عصرا أتركهم و أعود للبيت ، أبدلُ ملابسي و أذهب للكنيسة ..لأجدَ أطفال القريةِ كلها بانتظاري ، و بعضِ الشباب و الشابات الصغار..نحكي لهم قصةً ، و نحفظهم ترنيمة و آيةً من الكتاب المقدس ، و نلعب معهم إلى الساعة السابعة.. و أعود للبيت أعد العَشاءَ و نتناول العشاء ثم أغسل الأواني التي بالمطبخ و أحضّر قصص و ترانيم اليوم التالي و أصلي قبل النوم ، ثم آخذ المذياع في حضني و أنام ، و كنت إذا لم أجد قصة أو ترنيمة قبل النوم كنت أجدها أثناء نومي فأنهض من نومي مسرعة فأكتبها ثم أكمل نومي ، و في الصباح قد أتفاجأ أنني كتبت قصة أو ترنيمة غير موجودة من قبل... أما بعد انتهاء دارستي الجامعية لم أذهب للقرية ، لأني لو ذهبت لكان هذا بمثابة قرار الإقامة في القرية للأبد. شيئا ما داخلي يدفعني للعيش خارج القرية كأن أحدهم يهمس في أذني ، مكانك ليس هنا..و مما شجعني على عدم الإقامة بالقرية ..في الصيف الأول خطبت نصف البنات صديقاتي . ، و في خلال سنتين تزوجن جمعيهن ، ظللت بعملي سبع سنوات قبل الزواج .. واجهت فيها الحياة العملية بكل ما فيها من مواقف لا تنسي. "فتكلمه و تضع الكلمات في فمه ، و أنا أكون مع فمك و مع فمه ، و أعلمكما ماذا تصنعان

الباب الثاني
الفصل السابع
جمع المذكرالسالم و التكسير..

المذكر في حياتي كان سالما طارة و تكسيرا تارة أخرى..

عمي الكبير(إبراهيم)..

عاش و مات بتولا تولي تربية إخوته الأصغر ، دفن منهم من دفن و حمل عار من اخطأ. و زوّج الباقي و تولي أمر قيادة العائلة و تربية أولادِهم ، و كانت له الكلمة العليا في البيت كان شديدا للنظام يصل لدرجة الوسوسة. أخذت منه هذه الصفة. لبق و بليغ في كتاباتة و كان مشهودا له بذلك . لديه القدرة على وضع الخطط و تنفيذها. لكنه كان دكتاتورا لا يحب المناقشة ، يكره المجادلة. حساس إلى أقصي درجة. لو طلب كوب من الشاي و أحس أنكَ قدمتهُ بغير نفس راضية لا يشربه..

كان عطوفا على الفقراء و المساكين.. أذكر مرة أنه خرج في جو شديد الحرارة يجري خلف متسول ليعطيه قطعة من البطيخ و هو فوق السبعين.. الأمر الذي جعل أهل القرية يستهزؤن به لعدة شهور..

كان مَضيفا للغرباء ، فإذا صادف غريبا لا يجد مبيتا كان يأتي به للبيت..و كان عاشقا لحياة الشركة.. إذا زار أحد الأغنياء بأحد المدن و أعطاء قطعة شيكولاتة..كان يحتفظ بها في جيبه إلى أن يعود و يعطي جميع أفراد العائلة منها مهما كان عددنا..

هو محب للصلاة و الصوم..و قراءة الكتاب المقدس ، و كثيرا ما فسر لي ما لا أفهمه كان صاحب قرار ، حازما وحاسما. تقريبا أخدت منه هذه الصفات جميعها ، ورغم معرفتِه بحسب قول الأطباء أنني لن أتزوج ..عرض على أحد أبناء أخوته الزواج بي ، وإذا وافق يعطيه ميراثه كاملا.. رفضني ابن عمي..و هذا الرفض أغضب عمي بشدة. و تسبب بالفرقة بينهما. . الرب ينيح نفسه في أحضان القديسين .

أذكره في كل قداس مع أبي و أخوتي و ممن تنيح (مات) من أسرتي.

أخي الكبير(رأفت)

كعادة أبناء أهل القرية أن الإبن الكبير يضحي بتعليمه من أجل زراعة الأرض. و هكذا ضحي أخي الكبير رأفت بدراسته و ظل هو الوحيد بين الأخوة بدون تعليم. ظل في الأرض يزرع و يقلع .. قَبِل الدور الذي وقع عليه بكل رضي و تصالح مع النفس..ظل الوحيد بدون تعليم لكنه ظل الكبير له كلمته التي تُحترم و أرائه الأكثر حكمة فينا جميعا ..ظل حافظا للعهد و التقاليد و الواجب و الأصول. حافظا للود محبا من عمق القلب . حينما تزوجت هو الوحيد الذي أرسل لي مبلغا من المال لا بأس به.

أرسله لي مع أحد الأفرد الأغنياء ، لكن المبلغ لم يصلني و لم أعلم به شيئاً..عرفت بعد ذلك بالصدفة حين كان ذلك الغنيُ يحتضر.. اعترف لي أنه أخذ المال من أخي و نسيه و لم يتذكر إلا بعد خمس و عشرين سنة.

يوم (صباحيتي) جاء أخي لي كعادة الفلاحين مع خالي بـ (الصباحية) و كانت شيئا معتبرا.. و جاء بعجلين و سلسال من الذهب يوم السابع..و عند ميلاد ابني البكر جائني بكافة الأشياء..ملابس لطفلي ، و لي ، و أجوال من الدقيق و الأرز ، و أقفاص من الطيور و كافة شئ..

و في ميلاد ابنتيّ و ميلاد ابني الصغير فعل كما فعل في ميلاد ابني البكر.

لا يجيد التعبيرَ عما في صدره بالكلام ، هو رجل أفعال.

في مرضي و أنا صغيرة كان يسهر بجانبي للصباح ، لم يكن هناك أطباء بالقرية..

أتذكر ذات مرة أنه جلس بجابني طوال الليل يدهن رأسي بالخل و الليمون كي يخفض درجة الحرارة ، ظل طوال الليل ساهرا.. كنت أهلوس من السخونة. أفقت على كلمة حمدا لله درجة الحرارة انخفضت. مازلت أشم رائحة الليمون على جسدي حتي الآن عندما أمرض و ترتفع حرارة جسدي.

و عندما أصبحت شابة ، و أنفصلت العائلة و تفرق كل إلى طريقه. كنت أمرض كثيرا و كثيرا ما أذهب إلى عوالمي الأخرى فترة المرحلة الثانوية

في الشتاء . كانت زوجته تكلفني أعمال البيت وقت العصر لأقوم بها قبل العشاء خوفا من الثعالب و الذئاب لأنها ستذهب للحقل و تعود بعد العِشاء و كنت دائما لا أقوم بهذه الأعمال لأني كنت أذهب إلى عوالمي الأخرى يوميا من العصر إلى ما بعد العِشاء كانت تدخل حجرتي و أنا نائمة و تنبهني على إسكان الطيور في مساكنها كنت أعدُّ لها عدد الدواجن ، البط و الأوز... و أنا في الواقع في غيبوبة..و تأتي بعد العِشاء لتجد الحال كما هو..

فكانت تنتهرني بشدة فكنت أغلق باب حجرتي من الداخل وأعودُ لعوالمي و قصصي ، أخي كان يعتقد أنني تعبة بسبب زوجته ، فكان يطرق الباب كثيراً و إذا لم يجد استجابة كان يتنهرها بشدة و يدخل أحد أبنائه من الشباك ليفتح له الباب..و يدخل يضع يده على قلبي و يضعط بشدة عدة مرات حتي أعود من هناك و يتأكد أنني مازلت على قيد الحياة..يظل ينادي لفترة قد تطول أو تقصر إلى أن أرد عليه ..

فيسألني.." أنتِ بخير..؟!"

أجيب: "نعم"

يتركني و يذهب إلى زوجته يعنفها داعيا على كل الأنعام بالفناء من أجلي.

وإلي الآن عندما أمرض أفيق على يده و هي تتحسس نبض قلبي و أفيق و لا أجده بجانبي. كان بسيطا إذا تأخرنا في إعداد الطعام يأكل من بواقي (المشنة) و لا يتناول العَشاءَ معنا. فتعلمت من أجله أهمية إنجاز الأعمال في وقتها و إن أمكن قبل الوقت.

و ذات مرة احتجت أشياء خاصة بالفتيات من سوق القرية.

زوجته نسيت أول سوق ، و كان السوق كل يوم ثلاثاء ، و ثاني سوق أيضا نسيت ، و ثالث سوق نسيت.. في المرة الرابعة قبل أن تغادر نهرها بشدة أن تأتي بطلبي أولَ شئ و إن أنفقت من أجله كل النقود.

زوجته من قريتنا و هي أنسانه خلوقة ، عفيفة ، منظمة و نظيفة القلب قبل أن تكون نظيفة في بيتها..علمتني فنون الطهي ، و الغسيل ، هي بمثابة أختي و هي الوحيدة من زوجات إخوتي التي تشعر بألمي لأني

أُعتبر ابنتها الكبرى . هي كزوجها تعرف الواجب والأصول ، تقدم لي ما تقدمه بمحبة .
علمتني.. "أن أقدِّم الطعام بضمير صالح للجميع" فيكون طعامي من ألذ الأطعمة.
يعجبني فيها حكمتها و عزة نفسها.
أخي الكبير ..هو الكبير عندي.
فذهبت مرة لأشكو زوجي له ، قال لي أنتِ دارسة لعلم النفس و فنون التربية أتأتين لفلاح مثلي تسألينه المشورة ؟!!..طبقي ما تعلمتيه...
أولادي يفرحون به و بعطاياه.هو يأتي لهم كل عيدٍ بملابس تكاد تكون الملابس الوحيدة التي تغسل كل أسبوع.
أحيانا كانت تأتي (أعياد) أُخر من جميع أخوتي . ملابس وأشياء كثيرة الرب يعوضهم خير عن عطاياهم ، لكن عطية أخي الأكبر فيها محبة أكبر ، لأنه يعطيني من القلب . الله يعوض الجميع في ملكوت السموات.

أستاذي العزيز

كان رجلا كبيرا بالسن و لم يتزوج ، كان مدرسا للمرحلة الثانوية ، و لتواضعه كان يعطيني درسا في المرحلة الابتدائية. و ذات يوم أخطأت... ضربني بعنف حتي كدت أن أموت. و عنها قامت إحدى زوجات أعمامي بتعنيفه و قالت له لا نريد تعليمها نريد حياتها ..فاعتذر و أكملت معه الدروس ...
هذا الضرب المبرح علمني كيف أنظر إلى الحدث بعد عشر سنوات..
كيف سيكون ردة فعل كلمتي في قلب محدثي ، و كم حلا يمكن أن يحل تلك المشكلة ، كنت حينها بالصف الثالث الابتدائي..و حينما انتقلت للصف الرابع قررتُ أنني لن أكمل دروسي .. و أخبرت زوجة عمي التي دافعت عني بذلك ، سكتت لم تناقشني ، و آخر النهار قالت لي تعالِ نجلس مع الأستاذ و نشرب معه الشاي.
و بعد حديث طويل أخبرته بأنني لا أود تكملة الدراسة.. فاجاب بكل هدوء مع أنه كان عصبي جداً و قال: لا مانع دعوها للأرض و الزراعة و لمْ

"الجِلة"(روث المواشي) من الطرقات ..و من الممكن أن تقوم من النوم متأخرة ذات يوم ويسبقها بنات عائلة كذا (كانوا متخصصون في ذلك)..و تتشاجر معهن ، فيضعوها في فمهما..
سمعت تلك الكلمات و أسرعت إلى بيتي ألملم الأوراق الفارغة من دفاتر إخوتي و أجهزها للمذاكرة.
هذا الرجل كان قديسا.. كان يعيش لغيره ، و لم يرفض أي طلب لأي إنسان..تنيح بسلام و شيعه الكثيرون ، كنت أود أن أكون موجودة في جنازته و لكن لظروف مرضي لم أستطع الحضور ...اذكرني أمام عرش النعمه أستاذي.

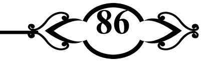
أستاذي الجليل

في الحقيقه ليس رجل واحد بل ثلاثة رجال. هم مدرسي اللغات بمدرستي الثانوية.
الأستاذ بهي الدين مدرس اللغة الفرنسية الذي كان يعشق لكنتي في اللغة الفرنسية ، كان يُسكت جميع الطلبة ليسمعني مرارا و تكرار ، و كأنة يسمع سيمفونية لبتهوفن ،لا تتخيلَ كم الثقه التي كان يعطيها لي إثر هذا التصرف.كان يحترم بنات فصلنا ، دائم المدح فينا جميعا ، كان يخبرنا أننا مؤدبات مهذبات خارجات من بيوت أناس ، و أي شخص يطلب عروس يشير إلينا.
الثاني: الأستاذ نجاح مدرس اللغة الإنجليزية . كان يعاملني على أنني زميلتة ، يناقشني في بعض الأمور يسألني أحيانا في أمور الدين. طريقتة كانت ساحرة في التدريس ، معلم من الدرجة الأولى.
بعد تركي للمدرسة بثلاث سنوات كنت في السوق أرتدي جلبابا ريفيا و وشاحا على رأسي. كنت أقف بجوار أحد أعمامي و لم يعرفني إلا حينما تكلمت..
روْحت أتجول في السوق و إذ بكل زملائي تجار في السوق ، رحبوا بي ترحيبا شديدا و أعطوني السلع مجانا . زوجة أخي غدت إلى البيت بما تسوقناه و روحت أسلم على باقي صديقاتي اللائي و جدتهن هناك حتي

تأخرت في السوق ، لم أجد وسيلة مواصلات لأعود للبيت. فعدت ماشية على قدماي و كانت مدرستي الثانوية في طريقي للعودة إلى منزلي. كان الأستاذ نجاح بالدور الثاني بالمدرسة و حينما رآني مقبلة وقف راكنا على السور في انتظار أن القي التحية..
فلم أفعل ..
فما كان منه إلا أن ناداني ...(..................تسعة) تعالي هنا.
فذهبت إليه و سلمت عليه و عندما عاتبني لماذا لم ألق التحية ؟ أجبت .. عمي لم يعرفني...!!!
فاجاب ضاحكا: أنا استحالة أخطئك..ذاك هو المعلم الأب.
أما المدرس الثالث :فهو الأستاذ عبد المتجلي مدرس اللغة العربية.. كان يضرب و لكن ضربه غير موجع..
ذات مرة كنت حزينة القلب و سألني سؤال فلم أجب ، ظل طوال الحصة يحاول معي أن أتكلم و لكني لم أتكلم من شدة حزني . و كلما رفع العصا ليضربني أرفع له يدي فيخفض العصا ، إلى أن قال لي أَسمعيني صوتك الرقيق يا (..................تسعة) أود أن أطمئن عليكِ فقط..
كان أخي الأكبر مني مباشرة قد مات.. و كنت في غاية الحزن..لا أعرف كيف عرف بخبر موت أخي..عزاني ...و عاملني كشخص كبير .
رحمهم الله و جعل نصيبهم مع الأبرار و الصديقين. هؤلاء الثلاثة من أساتذتي أعطوني الثقه بنفسي ، و خاصة أن الجميع يراني غير جميلة و بخاصة أمي.
هؤلاء الأساتذة جعلوني أؤمن بجمالي الداخلي..لذا لم أغر يوما من أي فتاة مهما كانت..
كيف أغار و أستاذة العلم و البلاغة و الأدآب جعلوني ملكة متوجة على عرشي؟!
جزاهم الله خيرا..
قل آمين.

رجال الدين

في الحقيقة هم ثلاثة أيضا..



الأول -أبونا- الراهب كاهن كنيسة المدينة التي انتقلت للعيش فيها..عاملني بحب و احترام شديدين.. و هو أب حقيقي..في كل أزماتي بعد انتهاء الدراسة لم أجد إلا هو..
و الأب الثاني هو " ملاك (راعي) إحدي الكنائس ببورسعيد " كنت اعترف -عليه -(عنده) ببورسعيد فترة الدراسة ، هذا الرجل روحاني كالملائكة فعلا ، منظم و يسمع لكل كلمة تقال ، علمني كيف أتخذ القرار لنفسي . سار معي في طريقي لأكثر من عشرة أعوام..عندما قابلته صدفة في أحد المدن ، قبّل أبنائي و قال لهم :أنا جدكم والد أمكم..محبتة عظيمة. تعلمت منه الكثير.
الأب الثالث: هو الأب الذي ذهبت إليه للتفريغ النفسي ، ذات يوم حينما قبضت الدنيا على بكلتا يديها طلبتُ منه جلسات علاج نفسي. هو أب شاب و مبارك و مباركة هي خدمتة.
هؤلاء الثلاثة كانوا بمثابة إشارات سلام في طريقي..
الشخصية التالية...هم ثلاثة أيضا..

جمع التكسير

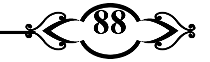
أولهم إسحاق

ذو قرابة لي.ظل يطادرني لمدة خمس سنوات ، في تلك الأونة كان جميع أهل القرية و من يأتي إليها يعرف أني مريضة بالقلب ..لم يكن من القرية ، جذوره من القرية.. عندما اقنعتني البنات بفتح قلبي..فتحت عقلي أولا ثم فتحت قلبي له ، أحببته بالعقل قبل القلب..بحكم القرابة وثقت به أيما ثقة ، لكنه لم يكن أهلا لتلك المشاعر أو تلك الثقة.. الذي اكتشفته بعد ذلك أنه كان لعوبا يلهو بجميعهن ممن تقع أمام عينيه ، لم يستثني واحدة..كان يريد أن يكمل بي العدد ، يريد أن يقتني لؤلؤة سوداء ذات لون نادر. بالطبع صدمت فيه ..و بسببه فقدت الثقة بجميع الرجال كتكوين أسرة..ظللت سنواتٍ عدة متاثرة بما فعلة بي..و عندما كدت أن أنسي..
جاء قريب آخر اسمه بهيج..كان شماسا بالكنيسة و ذا خدمة رائعة ، و محبوب من كل الناس.. الذي اكتشفته بعد ذلك أنه نسخة من إسحاق.

لكنه النسخة الأسوأ. الذي يتغطي بالخدمة. و ألفاظه في السر إباحية و شخص لا أجد لفظا محترما أصفه به.
تم الإيقاع به في قضيه قتل..في تلك الآونة هب المجتمع مستنكرا كيف لهذا العفيف الطاهر المحب الـ..... يتُّهم في قضيه مثل هذة..مات قبل أن يُحكم عليه و أشك أنه مات مسموما ، هذا الإنسان و قعت بسببه في خطية النميمة و الإدانة أكثر من الف مرة.
" الربُّ فاحصُ القلوب و الكلي " لعلَّ الله أعطاه فرصة للتوبة. هذا الإنسان كان ينوي لي الشر لكن الرب كان لي حافظا. كان يعيش ببيت خالي في منزل مستقل للشباب الذين يكفلهم ، لكنه كان يدخل البيت عند خالي (بيت خالي الخاص) و قتما شاء و كان خالي يثق به و يحبه و تلك كانت كارثة.
أما الشخص الثالث: فهو من عينة بهيج. زميل لي في العمل ، عملت معه فترة ، لا يوجد فرق كبير بينه و بين بهيج..نفس النسخة..و ربما الأسوأ.. كان متزوج و يسعي لنوال شرف الكهنوت و لكنه و من علي شاكلته يقتربون جدا و لكن أبدا لم ينجح أحد منهم لنيل هذا الشرف لأن الله حارس أمين لا يختار إلا الأمناء لهذه الأمانة..ربما يسمح ليهوذا لكن أبدا لا يسمح لحنفي و فينحاس... ربما لاحقا أتذكر مزيد من التفاصيل..
الله يعطي التوبة لكل طالبيها و لمن يريد الملكوت و يسعي للأخرة.
بالطبع هؤلاء الثلاثة...علموني أن لا أثق بالناس ، و أن أكون حذرة مع الجميع و خاصة الرجال مهما ظهروا بثوب الورع ، اللطف ، العفاف و التقوي.

جمع سالم حسن

هم ثلاثة أيضا
الأول :اسمه حسن. تقابلت معه في عملي ، في مكان يعج بالرجال و النساء..
كان هناك بعضُ الرجال الغير أسوياء ، كانوا يتحدوثون عن حياتهم الخاصة ..... كناية.. و أنا طبعا أشترك في الحديث بعمق و هم يضحكون.. الأستاذ حسن و هو فعلا حسن .. استدعاني على انفراد و قال لي: سوف



أخبرك شيئا..و من الجائز الأ تتعاملين معي مرة أخرى ، لكن هذا واجبي..فلان و فلان و فلان مقصدهم غير شريف ، و لعلمي بنقائك أنك تتشاركين الحديث معهم و أنتِ غير مدركة..احذري ...
و إن كان قرارك عدم معاملتي مرة أخرى فأنا راض..شكرته و دعوت له أن الله يرد معروفه لي في بناته.
الثاني :زميل أيضا ، اسمه سدراك..
كان لا يغادر مقر العمل حتي يطمئنَ أنني غادرت ، لأن مكان العمل كان في منطقه جبلية ، و لم يتركني قط و إن صادفني في أي مكان يوصلني حتي باب بيتي. ذات مرة كنت مع زوجي و جاء للتحيةِ و قال لزوجي أنا خال أولادك..الأستاذة أختي ، فعلا كان أخا.
الثالث : ويصا نسخة متطابقة من سدراك.. و لكنة تخطي سدراك في أمانتة ...كان له سلطان علي المستهترين..فلا يقترب أحد مني بأمره .
هؤلاء الثلاثة أعادو الثقة لي في الناس ، و الرجال. هم سبب التوزان في معاملتي للناس..

خالي رشدي

كان من رجال التعليم..كان شخصية فوق الرائعة ، كان يستشيرني و يتناقش معي أنا الصغيرة و هو العملاق.. مات سريعا ، و افتقدتة في بداية مشواري..علمني قاعدة:
"المدرس مدرس و الطالب طالبٌ مهما كانت المحبة و الدلالة بينما ، يجب أن يكون هناك حد لا يمكن تخطيه"
كان رجلا ، محترما ، وجيها و وسيما. كان له نظرة ثاقبة في الناس ، يعرف أن يُميز الجيد من الغث من أول نظرة..و كان ذا هويات نادرة..منها جمع الأشياء النادرة ، هذا الهاتف من خامة كذا ، و تلك الساعة من خشب كذا..شقته كلها تحف نادرة..حتي زوجته من فصيلة نادرة من البشر.. مثل السيدات الأول شكلا و موضوعا..مضي للسماء قبل خطبتي لأنجيلوس (زوجي)..كان يحب أنجيلوس جدا.. لذلك أنا اخترته..كنت أود أن أتزوج رجلا مثله ، و بعد زواجي أيقنت لا أحد يشبه أحد.

أنجيلوس

زوجي..

كنت أبحث عن شخصية قوية.. به حمكة الآباء الأساقفة ونقاء الملائكة و وجدت أنجيلوس فكان حسب قلبي. كان يتقدم لخطبتي كثيرون ، منهم حملة دبلوم متوسط فكنت أرفض ..فقدمت لي إحدى صديقاتي المثقفات نصيحة (ابحثِ في شريكك عما ينقصكِ).

فبحثت عن الشخصية الأقوي مني.. و عن الرجولة و تحمل المسئولية..كان يكبرني بعدة أعوام ، و حاصل على دبلوم متوسط و يعمل في إحدى شركات المقاولات..أبهرني بشخصيته..فهو و سيم جدا..و أنااااااااااااا كما تعرفَ..

له أسلوب خاص في الحديث ، خفيف الظل..لا يفقه شيئا في الدين ، مدخن شرس..

لا أعرف لماذا أحببته؟! حاولت كثيرا أن أُبعده عن ذهني لم أستطع..و كأن ملاك أو شيطان كان يهمس في أذني باسمه ليل نهار..تقدم لي .. صحيح أحببته بقلبي..لكني سآخذ القرار بعقلي..و الذي يدوس على قلبه مرة ، يستطيع أن يفعلها ثانية ألف مرة..

أخيرا و افقت و تزوجت و تلك قصة طويلة.

هؤلاء تسع نماذج أثروا في حياتي سلبا و إيجابا.

أما عن تاثير أنجيلوس فهو أكبر و أعمق تأثير لا أتذكر الأحداث الآن و لكني أعدكَ سوف أخبركَ بها جميعا حال تذكرها.

" لا تثق بحياتهم ، و تلتفت إلى مكانهم"

الباب الثاني
الفصل الثامن

نون النسوة

أمي

أخبرتك مع ماريز أن لدي شعور غريب بأن أمي لا تحبني و أنها نوع غريب.نعم إنها من طراز غريب و لكن دعني أكون منصفة .لا يوجد أم لا تحب أولادها و خاصة ابنتها..هي تحبني..لكن بشروطها. هي زوجة أب ..و معها في البيت السلايف..كن يضغطن عليها ، لأنها صاحبة صنعة (الحياكة)..و لأن لها كلمةٌ مسموعة عند رجال البيت بحكم صناعتها..و لأن زوجها لا يعارضها في أي شئ..بعد رهْنِ العزبةِ و تقهقرِ حالة العائلة المادية ، هي التي سدت العجزَ..فكانوا يغَارون منها رجَال و نساء فيضغطون عليها فتفرغ الضغط فيّ..

كانت عجيبة مثلها مثل سيدات ريفيات كثيرات..ولدتْ و تربت على أن الأنثي درجة ثانية أو ثالثة من البشر بعد الرجل. و الرجل هو النعمة العظمي من الله..و الذي يحبه الله من يعطيه الرجال ، الرجل هيبة و هبة..و يجب على الأنثي الخضوعُ و الطاعة في كل شئ ، حتي في معصية الله نفسه ، و العجيب أن المرأة لديها كل الرضا و القناعة..

ذات مرة كنت أجمع القطن مع نساء أرامل..أتهمن الله بعدم الفهم و التمييز(حاشا لله) لأنه أخذ الرجال و ترك النساء. ذلك المجتمع المتحيز الذي أعطي للرجل كافةَ الحقوق و سلب من المرأة آدمتيها في الوقت الذي لن يتسني للرجل التعبير في المجاملات إلا بالمرأة.. تخيل معي رجل تزوج حديثا و يود الانخراط بالمجتمع ...

مثلا عند الأفراح يُجهز "الهَنا "(هدية لأهل العرس) ، و يضعها في "سبتْ"(وعاء كبير من البوص) ، و يأخذ المرأة إلى العرس و عندما يقترب من الباب يقول لها زغردي(أي تطلق زغرودة) ، و عند المآتم

يلبسها الأسود ، و ليس شرط عليه هو إنما شرط عليها لبس الأسود و عند الإقتراب من العزاء يأمرها "صوتي"(أي تطلق أصوات العويل و النحيب و النواح).و هذا هو الواجب..
أمي نتاج هذا المتجمع.. الذي يبجل الرجل و يحتقر المرأة مع أنها هي مقياس رجولته.
أبي بالنسبة لها أكبر نعمة و عند زواله ستصبح هي بلا قيمة..
تركتني و أنا صغيرة في الصف الثاني الابتدائي و استمرت رحالة في كل قرية شهرا لتجهيز الأعراس أو في المدنية لخدمة شباب العائلة المتفرقين في بلاد الله للدراسة و عادت لتجدني شخصيةً مستقلة.. أقول رأيي في مجلس الرجال في العائلة و خارج العائلة.
أصحح لهم أخطاءهم..يعاملونني كواحد منهم.. كرهت فيّ هذا الإستقلال..
أرادتني مذلولة كما كانت أو بلفظ أكثر حكمة قنوعة..
يوجد نماذج لأمي كثيرة وسط الريف.الأم التي تجد ابنتها كسرت المألوفَ و المتعاد فتعتبر هذا عدم أو نقص تربية.إما تغار أو تحقد أو تسامح (لأن زوجها سمح لابنتة ما لم يسمح لها به)...النماذج كثيرة نحو هذه الوتيرة.
كانت لي زوجة عم تعامل ابنتها مثل معاملة أمي لي بل و أسوأ..
ما قلته لماريز عن أمي قليل من كثير..
تذكرت الآن موقفا سأرويه لكَ
في مرحلة التعليم الثانوي كان معروفا عني أنني لن أتزوج. (مللتَ أنتَ من هذا الموضوع آهه..تحملَ و تذكرَ أنتَ أنني أعاني من إضطرابات الذاكرة)
في كل مرة أمي تشتري شبكة لشاب من شباب العائلة كنت أنتظر سوارا أو خاتم..
كان المفترض أن تجبر خاطري ...لأن الخطيبات زميلاتي بالمدرسة ، و لأني لن أُشبك أبداً..و لكنها لم تفعل و لا مرة واحدة ، لم تشترِ لي أي شئ..حزنت و لكني صمت.
كانت تحضّر "المواسم" (هدية للعروس) للعرائس المخطوبات لشباب العائلة اللائي في نفس سني ، كانت تشتري من كل نوع لهن..و لم تتذكر



يوما تشتري لي إي شئ من تلك الأشياء و لو جلبابا للبيت مثلهن ... كنت أتألم..و لكني لا أفصح أو أطلب..
كنت أود سؤالَها:
و أنا أين منكِ...؟!!
و لْمَ لمْ تشترِى لي يوما أي شئ اشتريته لأي عروس؟!
لمَ لمْ تراعى شعوري بأنني سأعيش محرومة من تلك اللحظات فتعوضينني عنها أنتِ؟
لمَ و أنت كنت تعملين حائكة(خياطة) للناحية كلها و أسبوعيا تشترين جهازا لعروس؟!!!
ألم تنظري مرة لعيني فترين فيهما الحزن؟
ألم تودي تجربة شعور أم العروسة بشراء شئ لي يفرحني ، حتي إن كان شعورا كاذب؟
كنت أود أن أسألها كل هذه الاسئلة و لكني كنت أحتملُ مرارة الألم داخلي في صمت.
لم أتعود أن أطلب شيئا..إلا الطعام ، لأني أستطيع تجهيزه ..
بالأحرى كنت أطلب الإذن بتجهيزه..
و ما زاد الفجوة بيني و بينها ، أنني ذات مرةٍ طلبت منها أن تبقي معي أثناء الامتحانات رفضت ، و تركتني ، كما عرفتَ أنت من قبل حينما أخبرت ماريز ، أضيف فقط كانت لي وجبة محببة طبختها لي و سافرت..و لكني من قهرتي .. لم أتذوقها..و دخلت حجرتي و ذرفت الدموعَ حتي غبت عن الوعي ، و ذهبت إلى العوالم الأخرى..
و من تلك اللحظة ، أقسمت على أن لا أعود أتكل على ذراع بشر.
كان لها معي ربما سبعة أو ثمانية مواقفَ بها أمومة كاملة على مدى حياتي كلها.
المشكلة إنها كانت تود أن تعيش الحياة نيابة عني ، فتشتري ملابسي بحسب هواها هي.. و في زواجي و لأني تخطيت الثلاثين عاماً ، كانت توافق على أي شخص يتقدمُ لخطبتي حتي إن كان دون المستوي ، فكنت أرفض و بشدة.

و حينما و افقتْ على أنجيلوس.. لمْ تشترِ لي من مالها الخاص أي شئ.. أي شئ بمعني أي شئ.. و لم تطلب من أَبي أو أخوتي المساعدة أو تطلب اشتراكهم في تجهيزات العرس ، كانت تأخذ مني و تشتري ما تهوي..

و مما زاد الخلاف ..

ذات مرة نزلتْ أحد المدنِ المشهورة بأرخص الأسعار لشراء الستائر ، و جدتُها بالصدفة تشتري لي أشياء التنجيد التي ضمن التزامات العريس ، و عندما و جدني أخو أنجيلوس ، فوجئ بأنني لا أعرف شيئا عن التنجيد... فهمس في أذني اختاري ما يلزمك و أنا سوف أقنعها بها..تدخلت في كل شئ دون أن تخبرني..

و أشياء أخرى كثيرة لا أتذكرها..

انتظرْ.. تذكرتُ.

حينما أنجبت طفلي الأول أُصبتُ بانهيار عصبي حاد ، ظلت أربعين يوما تسندني لأقوم آكل و أُرضعُ الصغير و أنام ، ظللت في غيبوبة طويلة ، اربعين يوما لا أعرف ماذا يحدث..كنت أقوم لأصرخَ وأطلب أشياء لا أعرف ما هي ، كان شخصا ما يطلب مني هذه الأشياء .. و هي تجري في الشوراع ، و تقع على الأرض ، و تقوم كي تحضرها ... و كان الله معي فتعافيت.

بعد ذلك تدبرت و اشتريت بيتا..و قلت لها لا تخبري أحدا أني ساشتري بيتا حتي يتم الله نعمتة علينا..فوجئت أنها أخبرت الجيران.

و عندما أنجبتُ ابني الأخير ، أصرت أن نسميه جون كما قالت الممرضة التي أخرجته لهم من غرفة العمليات..

(............. تسعة): أريده يوسف.

الأم : لا..جون كما قالت الممرضة التي بشرتنا.

(............. تسعة) : أريده يوسف.

الأم : جون.

أخيرا أسماه أبوه – بيشوي -..

عند مجئ بيشوي ، أقامت معي إقامةً مستديمة. تركتْ أبي بحجة أنني أحتاجها.

قبل بيشوي ، كنت قد رزقت ببنتين توأمتين و معي ولدي الكبير..
لم تنتقل للعيش معي ، و لما بدأت المشاكلُ ، في الزيادة محل إقامتها..انتقلت للعيش معي.
حاصرتْ أولادي و منعتهم من اللعب مع الأطفال ، أو نزول الشارع ، و منعتني من إحضار أطفالٍ للبيت..
من أين للطفل أن يتعلم مفرداتَ الكلام و الإجتماعيات؟! أذاقتني الأمرَينِ مع أطفالي الصغار..
و عند التحاق طفلي بالمدرسة ، كانت مأساةً حتي تعلم أن يكون إجتماعيا؟
أما مع زوجي فكانت معه ضدّي على مدار الساعة ، علمَته كيف يكون بلا مسئولية ، و طلباته قبل طلبات البيت ، كانت تعطيه نقودا ليتخطي ازمته ، و تشتري له السجائر بنفسها ، حتي و إن لم يكن في المنزل إلا النقود التي ستشتري بها السجائر..أو تقرضه لشراء السجائر.
و عندما كنا نتشاجر أنا و زوجي ، كانت تطيب خاطرة ضدي..
كانت تقول له "لا تعكر دمك اعتبر الخطأ خطأي أنا"
و عنها و يفردُ شراعه ، و يبحر في بحر ملذاتة ، أو يفرد جناحيه و يطير في السماء فرحا بهذا الإنتصار العظيم.. و لأُسحقُ أنا تحت الأقدام.
كان يأتي من عمله يومين بالأسبوع.. كنت أترك معه الأولادَ لأنامَ ساعتين فقط ، لأكمل باقي الأسبوع و خاصة في الشتاء.. كنت أنام مع أولادي و طوال الليل شبه يقظة من أجل البرد ، أربعة أطفال ليسوا بالحمل الهين ، ذهبتْ ذات مرة لزوجة خالي ، تشتكي لها أنني أترك الأولادَ له و أنام و هو مجهد و متعب من عمله طوال الأسبوع..
كانت تتعمدُ الشجار معي و هو موجود كي ينصفها. و كانت دائما تفعل عكس ما أريد..
و استمرت مدة طويلة حتي كدت أصاب بالإنهيار العصبي الحاد ، و لولا نصيحة الطبيب لزوجي لكنت أصبت فعلا..الطبيب فعل معي جميلا ، كأنة فتّح عيني زوجي.. ففهم زوجي ما يحدث فابتدأ يأخذ صفي في أي خلاف.
كان يقول لي قبلا أريدك مثل أمك " إمرأة فاضلة مَن يجدُها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ" أصبح يقول لي تجلدي هذا واجبك.

و لكن بعد ماذا ؟! بعد ثمانية أعوام من العذاب ، أشفق على أخيرا.
تلك هي أمي....
و ماذا عنكَ؟
هل أشفقتَ على؟
هلي تأثرتَ و نزلتْ دموعُك؟ أم كان الاحتقار من نصيبي من أجل أمي؟
إذا كنتَ أشفقتَ فأنا أشكركَ ، فأنتَ مازلتَ إنسانا.
و إذا كنتَ باكيا أشكركَ على دموعِكَ ، لأنكَ أيضا مازلتَ إنسانا.. كفكفَ دموعكَ..
فهناك أمهاتٌ أقصي و أعنف من أمي بمراحل.. قلوبهن مثل الصخر ، بل الصخر أحن..
كتلك التي أرغمتْ ابنتها للسير في طريق الخطيئة ، و التي تبيعهم للمتسولين..
و التي تزوج ابنتها ابنة الاثنتي عشر سنة لشيخ من شيوخ الخليج.
أعتقد أنني أسعد حالا.
أما إذا احتقرتَ..
فاشكركَ لأنكَ مازلتَ إنسانا تخافَ على مشاعر أمي ، و لكن هذه الحقيقة..
أتلومنى على سرد الحقيقة..؟! ، و لم لا تلومَها هي على أفعالها ؟!
لست أنا المهمة أو أمي الآن..
المهم أنتَ..
إياكِ أن تكونَ أنت نفس النموذج ، تسعد الكل و تضحي من أجلهم ما عدا أهل بيتك..
تلك المواقف ناقوسٌ ينبهكَ.
و إذا لم تكن هذا النموذج فلماذا أنتَ غاضبٌ من السؤال؟
أمي ماتت و قد تخطت الثمانين ، و لآخر لحظة بعمرها كانت تخدم نفسَها ، و تذهب للتسوق ، و تزور صديقاتها المتبقيات في عدة مدن متفرقة.
كانت تغسل لي الأواني ، و كنت أضطر لغسيلها مرة أخرى ، و إذا رأتني تكون ليلتي كما تعلمَ



لكنها الأمُّ ... كنت أصبر كثيرا ، و أنفجر فجاءة فيها من شدة الضغط ، و أعود لأتوبَ ، و أعود لنفس الخطأ..
هلا صليتَ و دعوتَ من أجلي كي يغفرَ لي الإله زلاتي مع أمي.

زوجة خالي

لي ثلاثةُ أخوال ، و المقصودة هنا زوجةُ خالي (عطا) من كفلني .هي قريبة مني في السن تكبرني بعدة أعوام ، و هي زوجةٌ ثانية مثل أمي ، لكن بناتِ زوجها متزوجاتٌ في نفس المدنية إلا واحدةٌ مازالت صغيرة ، و ابن زوجها يسكن بشقة مستقلة حسب رغبتِة ، كان يكبُرني بعام..و للحق كانت محبوبةً من أبناء زوجها ، لأنها كانت حنونة عليهم.
خالي تخطي الأربعين و أتي بها سن سبعة عشر عاماً ، و حين أقمتُ معها ، كان معها ابنتان و ولد ، رزقت بهم في أربع سنوات ..و لا تقوم بأشغال البيت..
و بالطبع الشباب الذين يتكفل بهم خالي عشرة شباب ، كانوا يقومون بجميع الأعمال لها ما عدا الطهي. و أسبوعيا أم لأحد هؤلاء الشباب آتية و معها زيارة ، و تقوم بأشغال البيت لمدة أسبوع أو أسبوعين ، و ربما أربعة أسابيع للسنة كلها.
زوجة خالي كانت تستحي أن تطلبَ من إحداهن تَعلم الطهي ، فكانت تأخذني لأحد الشقق الفارغة المجهزة لزواج ابنة زوجها أو لإبنه و أعلّمها الطهي خلسة أو بالأحرى نجرب سويا. عشت معها سنواتٍ هذا عددها و لم أستطع تحديد شخصيتها .
لأن العامل مع خالي و زوجته أشبه بمركب شراعيا في وسط محيط ، فتارة تجدَ الميحط هادئً يعطيك ما تشاءَ.. و تارة أخرى عواصف و رياحَ تكادَ أن تغرقَ ، لا تعرفْ متي يكون الهدوءُ و العطاء..؟! و لا متي تكون العواصفُ..؟! و في المحيط العاصف الغادر لا نجاة. ، و هما كالمحيط في عطائه و أخذه ؟! يعطي بكثرة لكنه يأخذ العمرَ كله دون أن تدري ، في المحيط لا عطاء بدون مقابلٍ.. كما المحيطُ في عمقه و غموضه كذلك هما..

تظن أنهما لا يملكان شيئا و لا تعرف إذا كانا يملكان أم لا ، أحيانا يعطيان بحذر ، و أحيانا بكرم ، و أحيانا لا يعطيان.. و إن أخذت لابد أن تعطي..

أحيانا المعاملةُ شديدة اللطف ، و أحيانا شديدة التعنيف..

من عشرتي معهما لم أفهم لهما وجه من رأس ، لم أفهم إذا كانا يحباني كما يقولا ، أو أنني على الهامش كما يظهر من أفعالهما؟

زوجة خالي.. إذا طلبتُ منها ترفض ، و إذا لم أطلب تعطيني هي..

أكثر من مرة تنظر ملابس في محلات تقول لي (كأنها لكِ) و تشتريها..

و إذا طلبت منها لا تشتري ،

و طبعا لأنني الفتاةَ الوحيدة ضمن المُنعَم عليهم ، كانت مهام البيت كلها على عاتقي ، و يمتنع الباقي للحضور للفيلا للمساعدة بحجة و جودي ، مع أن حجرتي بالطابق العلوي أنما يحضرون لتناول الوجبات الثلاث و قضاء أيام العطل الرسمية و الأعياد دون المبيت.. و يوميا ما يقع من الخادمة و الأم الضيفة أُكمّلُه أنا و لا ينقذني الأ دخولي في غيبوبة. هذا في فترة قبل الجامعة و جامعة قنا ، بعد سن العشرين تحسنت صحتي كثيرا و بعد إنهاء دراستي الجامعية و استقراري بشكل نهائي عند خالي.. تحسنت صحتي أكثر و معها زيادة في الأعباء و المسئوليات.

زوجة خالي كلُّ مرة تُنعم على بخيراتها ..تعود و تندم ..مع إنها تعطي بحسب ما أعطيتُ أنا من مجهود ، كانت تعطي ثم تحاسب..عملتُ عندها مربيةٌ للأطفال ، لأولادها و أحفاد زوجها.. كنتُ أنزل للتسوق..تسوق كل شئ ، حتي ملابسَها و ملابس خالي و من له ، و أبدا ما سُرت يوما بشئ اشتريته.. عشت معها أيام بل سنين ، تقاسمنا الفرح و الحزن...أحيانا ترفعني في قمةٍ و أتناولُ طعامي معهم.. و أحيانا أتناوله من الفتات ، لايهم طعام سليم أم فتات ، الطعام جُعل لسد الجوع ، ثم الطعام الذي نصفة من فنادقِ خمس نجوم لا يكون فتات.

أحيانا تخدمُني عند تناول طعامي ، و تعد المائدة بكل ما احتاج ..

و أحيانا لا تجعلني أكمل طعامي لأنها تذكرت فجأة نوعا من الطعام يُكمِل المائدة.

النهاية الرب يعوضها حسنا عما فعلت بي خيرا ، و أحسن عما فعلت بي ضجرا.
نمن الصعب أنا تعيش مع إنسان يكرهُك و يضطر إلى تحملك ، تلك المشاعر تملكت عليها قبل خطبتي.. كانت تتمزق غيظا ، و أرغِمَت على اصطحابي لشراء الشبكة لأن الخطبة كانت (بفلتها) الخاصة.
يوم التعرف جلعتني أبكي بكاءً مراً.. لأنها نهرتي و ذكرتني أن هذا البيت ليس بيت أبي.
و السبب..؟! .. لأن صديقاتي أتين لحضور الاحتفال ، اسمعتني كلاما جارحا..عبثا حاولت أن أشرح لها أنني لم أدعو أحدا..لم تصدق.
يوم الحناء توقعت أن يكون في أحد الفنادق الفخمة كعادة خالي مع المُنعِم عليهم ، و لكني فوجئت أنها ستكون في الفيلا ، حزنت لكن صمّت كالعادة ، ثم فوجئت بإلغائها نهائيا ، و قرر خالي إنها ستكون بمنزل أبي بالقرية.
لماذا؟! .. لأن زوجتة أشارت عليه أنه لابد أن أخرج من بيت أبي ....
وتم إبلاغ أخي الكبير فكان ردُّ أخي أن زميلاتي جميعَهن تزوجن ، و إن لي سبع سنوات أعمل في المدينة التي أعيش فيها ، و ما المانع أن تكون الحناء بالمدنية ، و أبيتُ ليلتي ببيت أبي و في الصباح أتجه لصالون التجميل ، ثم أن هذه العادة بطلت ، و كافة البنات المُنعم عليهن من قِبل خالي خرجن من فيلته.
وترجي خالي أن يكمل جميله معي و لا يكسر فرحتي ، و أضاف أنني شخصية مجاملةٌ .ترجاه أن يتركني أفرح مع صديقاتي و زملائي و أتلقي هداياي ، فرفض خالي..
جاءني خالي قبل الزفاف بعشرة أيام.. و أخبرني أن ليلة الحناء ستكون ببيت أبي ، و جاء له إتصال هاتفي فتركته و ذهبت إلى غرفتي..
عندما أنهي إتصاله استدعاني قائلا .. أننا لم نكمل حديثنا..
فأجبت.. لم يعد كلام ليقال..
حزنت حزنا عميقا بسبب هذا الموضوع كسرتُ فرحتي كسرا مقصودا.

و وقعت في مأزق.. كنت قد دعوت زملائي و أحبائي و صديقاتي بناء على إتفاق مبرمٍ بيني و بينه ، و كنت في حيرة من أمري...ماذا أفعل..؟! و كيف اتصرًف ..؟! الله الهمني فكرة للخروج من هذا المأزق فاعتذرت للجميع بحجة أنها رغبة أبي و أخي الكبير ، أن تكون الحِنَّاء بقريتنا. لكن لسبب لا أعمله تم عمل ليلتان حِنَّاء واحدة عند خالي ، والأخري في بيت أبي. ليلة خالي كان أحد زملائي سيصورالليلة –فيديو- هدية منه..اتصل زميلي بخالي ليستأذن فأخبره خالي أن يلغي التصوير ، و قال لي زميلك اتصل و الغيت التصوير لئلا تتعرض الفيلا للسرقة بسبب التصوير..و عندما ذهبت حزينةً إلى القرية و لبيت أبي.. كان بانتظاري مفاجأة سارة..و جدت القريةَ كلها تنتظر فرحتي ، و جاؤوا إلىّ جميعا ، و أحضروا الطبلة.. فرحوا ، و رقصوا ، و غنوا أغاني الفلكور الجميلة و هنوني..و كانت الفرحة التي تملأ عيونَهم بمثابة غسيل لقلبي الحزين. صحيح لم أجد من بنات جيلي إلا المتزوجات منهن بالقرية ، لكني و جدت عزوتي ، و جدت أعمامي و خلاني و جميع أهل القرية من كبيرهم لصغيرهم.

انتهت ليلة الحناء الثانية و ذهبت للنوم في حجرتي ببيت أبي ، فأبي النوم أن يأتي ، و وجدتني رغم فرحتي بأهلي أتذكر ما حدث منذ أيام..حين لم تسمح لي زوجة خالي لصديقاتي أن يفرحن ، و يرقصن معي كعادة البنات كلما جاؤا قالت: أن زوجها نائم ، و متعب ، و لا نريد ضوضاء.. كان لديها أحساس أن صديقاتي سيسرقن شيئا من تحف الفيلا الغالية الثمن.. كانت تريد التخلص مني بأسرع وقت.. و فوجئت بها تجمع جميع أشيائي..حتي أرقام الهاتف التي تخصني بدليل البيت للهاتف تشطبها ، و عند ذهابي لشراء الأجهزة الكهربائية لم يذهب خالي معي و تركني اشتري الأجهزة و حدي مع إحدى صديقاتي.أعطي لنا إحدى سياراته برفقة أحد المُنعم عليهم.

وعند شراء الأثاث..عندما أحضر أنجيلوس حجرة (انترية) مع (نيش) و سفرة (كانتو) قال لي أنجيلوس و استأذنني فوافقت لأنه لم يكن يملك المال ، و قد تخيلت ثورة غضب من خالي بهذا الخصوص.. فوجئت

برد فعل خالي أنه استحسن الفكرة بل و يطلب من المهني (المنجد) بعدم تنجيد (أنتريه) جديد و يأمر بخلع القماش الذي على (الأنتريه) القديم و غسله و إعادة تركيبه ..تلك الكلمات كان وقعها ثقيل على قلبي و شعرتُ كأنني تصادمت بقطار ففرمني..كانت الدنيا تدور بي.. كنت أرى الواقفين من فوق رؤوسهم.. كأن روحي خرجت مني و أصبحتْ حرة من ذلك جسدي الضعيف هنالك وسطهم.. لم أتكلم ، أو أناقش ، أو أجادل ، أو حتي أغضب.

منذ ستة أشهر ، استأذنته أن أذهب إلى مهني(نجار) زوج صديقة لي ، و أدفع له مبلغا لعمل (الأنتريه) و الباقي على ستة أشهر.. نهرني خالي و قال هذا عمل الرجال..

كان لي مالٌ عند خالي يكفي لشراء محتويات شقة بأكملها ، لي سبع سنوات أعمل سكرتيرة معه..

عندما انتهي النجّار من (الأنتريه) كملت الصاعقة..القماش القديم أُتلف عند الفك..و ذهبت أمي و اختارت ألوانا أخرى ، و دون أن تخبرني.. و كنت قد جهزت السجاد ، و التحف الخاصة بـ(الأنتريه) بنفس الألوان القديمة..

و قتها لم أستطع التحمل و قلت لخالي : هذا (الأنتريه) خارج الحساب..

قال لي أنت تأمرينني و لو أردتِ أذهب لمدنية دمياط الآن و أشتري آخرا جديدا..نظرت إليه في صمت..بما معناه هل تريد الأذن....؟!!!!

و تذكرت أيضا جميعَ ما فعله خالي لجميع المُنعم عليهم..

استخدم مركزه لتوظيف جميعِهم ، و زوجهم جمعَيهم من ماله الخاص ، بل أعطاهم شققا جاهزة و أنا التي كنت أفتح الخزينة ، و أعد قائمة المشتريات ، و أتفق مع النجارين و الحدادين و السباكين ، و حتي عمال البناء و البلاط و المحارة و إلى غير ذلك.. كنت أحجز الفنادق ، و صالونات التجميل و اشتري فساتين الزفاف و أشرف على مائدة الطعام (البوفيه) و كافة شئ ، كان يأمر و أنا السكرتيرة أنفَذ.

لجمييييييييع المُنعم عليهم..

أنا كنت أول فتاة مُنعم عليها ، لكني لم أكن الأخيرة ، خالي جاء بفتيات أخريات من القرية علمهُن ثم زوجهُن و أنا التي كنت أشتري لهن كلَّ شئ معه..كنا نفرح بالحدث سويا جميعا..جال بخاطري نفس الأسئلة التي كنت أود أن أسألها لأمي..

و لكن هذه المرة لخالي و زوجته..

لماذا هذه المعاملة معي؟

أي ذنب اقترفت..؟

لماذا تركتني وحدي في فرحتي؟!

لماذا لم تمن على بخيراتك كما فعلت مع الجميع؟

لم أكن أتمني أموالك أبداَ..

كنت أتمني شعورك بفرحتي فقط

ماذا فعلت كي تعاملني هكذا...........؟

و لزوجتة..

لماذا هذه المعاملة و أنا الوحيدةُ التي كنت أقوم بأعمال البيت بحجة أنك تراعين شعور الفتيات المُنعم عليهن و أني صاحبةٌ للبيت ولستُ مثلهن ضيفة ؟..أين محبتك ؟..وأين وعودُك و أنني مثل ابنتك البكر ؟

صحوت من غفوتي على زيارة إحدى خالاتي..

نظرتْ داخل عيني و همست "ادفني ما فات يا ابنتي و إبدأي حياة جديدة" و أعطتني مبلغا من المال و مضت.

إنها عِشرةُ خمسة و ثلاثون عاماً بيني و بين خالي حتي توفاه الله ، هو و زوجتة كيف يمكن أن تختصر.. لا يوجد شخصٌ سئ بالجملة أو خير بالجملة.

كل منا خليط من الإثنين.. لكن هناك غالب لأحد الطرفين..!

هي من أي نوع؟

لم أعد مهتمة أي نوع هي و زوجها..

الآن أنا تخطيت الثمانين.. المهم أنتَ ما أخبار الذين حولك؟!

أسمعكَ تقول أن ذاكرتي عادت..

لا لم تعد ذاكرتي...

ما أقوله لكَ هي مقتطفات خلال ثمانين عام..
أفهمْ وتعلَّمْ .
نسيت أن أخبرك أني أتكلم الإنجليزية و الفرنسية بطلاقة مثل خالي عطا و لكني لم أتعلم الهيروغليفية مثله.
و أنا في الأربعين..
اعتزلت الأهلَ جميعَم فترة ما عدا أخي الأكبر..لم أعد أهتم بأحد ، أو أزور أحد ، لم أعد أفرح بشئ أو أحزن لشئ..أحيانا كثيرة فقدت التمييز.. نعم ..تمييز الوجوه فقد كنت أرى شخصا و أكلمه ثم يتضح أني كنت أقصد آخر ربما كان يشبهه ، أو لا يشبهه.
أيضا فقدتُ التمييز في المشاعر..
مشاعري..
أحيانا كثيرة كنت لا أستطيع التمييز بينها ، هل أنا فرحة ..حزينة.....حتي ملامح وجه أنجيلوس زوجي أحيانا كنت لا أستطيع قراءة تعبيرات وجهه..
أتعلمَ شيئاً لو عاد بي الزمن لكنت صارحت و تناقشت ..خسرتُ كثيرا لأنني لم اتناقش مع زوجة خالي.
أقصر طريق للسعادة هو الصراحة و المصالحة. كان لابد أن أعرف حدودي من اليوم الأول ، كان لابد من وضع القواعد في المعاملة.. كان لابد أن آخذ مسئوليات محددة أكون مسئولة عن تنفيذها.. فمعظم الذين تتم لهم الكفالة يظنون أن الكافلين هم العبيد و هو السيد ، و إن جنية (سندريلا) أتت به إلى هنا ليكون مبجلا..
لا ينتبه إلى أنه عضو في هذه الجماعة ، عليه أن يجاهد و يشقي و يدفع الثمن للكفيل لا شئ مجاني . و المُنعم عليه إما أن يكون حساسا و مرهفا لأي كلمة فيتعب جداً و لا يستوعب طعم السعادة..أو يكون عديم الإحساس؛ فيعيش مستريح البال هانئ العيش و العيشة ، وكلاهما يلتقط الفتات برضا إلى أن يتملك منه.. ملاك الجهاد.. أو شيطان البطر و الطمع.. و في الحالتين ينفصل و لا يريد العودة.
هذه زوجة خالي .

زوجات أعمامي

كان لي زوجات عم كثيرات..
معظمهن حانقات على أمي لأسبابَ سبق ذكرها..و أنا قطعة منها و أنسب شخص للإنتقام..
و لكن حين تمرض أمي يطببنها ، و يحممنها ، و يخدمونها كأنها السيدة و هن الجواري..ليس لأمي فقط بل لأي منهن يصيبها المرض ، و إذا ماتت إحداهن تسمعهن و هن ينادونها يا (حبيبتي) مع السلامة. كنت أتعجب لماذا لا يصّرحن بهذة المحبة في الوقت المناسب.
كنت أصحو صباحا وحدي لا أجد فطورا ، فأذهب لمدرستي بلا طعام..أعود ظهرا ، لا أجد طعاما أيضا ، فأُرغم من نساء البيت على أكل الباقي من (المشنة) و إذا لم يكن بها باق ، آخذ أول رغيف من (مشنة) الخبز غصبا.. كان دائما هذا الرغيف جافا ، كنت أُراقب..أن لم أجد من يراقبني أخذ الرغيف التالي و أترك الجاف. كنت أتناول هذا الخبز عادة مع الجبن القديم ، و أذهب للحقل ،
اسمعكَ تقول لحظة ..
نعم أني مصغية ..
ذكرت ذلك قبلا لماريز...
أعتذر..
سأخبرك بجديد..
عند الخبيز كنت أجلس مع زوجات أعمامي و أسمع نميمتهم عن أمي ، كنت أشاركهم في إعداد الطعام..
كانت واحدة فقط هي التي أستأنس بها ، كانت من الكبار..عند وجود أمي كانتا دائمتي الشجار ، لكنها كانت مشجعه لي ، هي التي أخذتني لمدرسي كي يقتنعي بإكمال تعليمي. كانت مساءً تحكي لي القصص.. و في الصباح .. كانت مرعبة و جافة..أما في المساء كانت حنونة ، كانت إمرأةً تصلح لمنصب وزير الإقتصاد ، عكس أمي لا تعرف كيف تتدبر ، أمي كانت تعيش حياة التسليم ، أما زوجة عمي هذه كانت تعش حياة التدبير. كانت معاماتها شنيعة مع إحدى بناتها..أعلي من أمي معي بمستويات..

كانت تطبخ أو تغسل بإتقان ، تعمل عملها بإتقان ، عكس أمي كانت دائما متسرعة و فوضوية.
تعلمت منها مبدأ هاما في الحياة ،
"الذي ليس معه-لا يلزمه"
ذات مرةٍ أخذتي معها إلى مدنية فاقوس للتسوق و الكشف الطبي لي ، و وضعتني في الحافلة ، و نزلت تشتري شيئا نسيته ، و تحركت الحافلة بي وحدي فبكيت ، التف الناس حولي و سألوني عن عائلتي فأجبت..
قام أحدهم و تعهد أمام الجميع لإيصالي لأهلي ، في تلك اللحظة عادت زوجة عمي و الحافلة تتحرك ، نادت فلم يسمعها السائق.. ظلت تصرخ و تجري في الشارع..
البنت ..البنت..
التف الناسُ حولها ، و من بينهم شخصٌ يركب دراجة.
جرى خلف الحافلة حوالي عشرِ دقائق حتي استطاع اللحاق بها لأنها تسير ببطء داخل المدنية ، و أشار للَسائق ، فوقف السائق..أخذني و ردني إلى زوجة عمي التي أخذتي و أحضنتني و هي تبكي..
قائلة: كنت أظن أني فقدتكِ..في تلك اللحظة عرفت..
" ليس كل ما يُقال يكون من القلب و إن كانت قسوة"
زوجة خالي الإسكندرانية
كان لي زوجة خال من الأسكندرية ، كان خالي هذا متسلطٌ ، قاسي القلب ، كان في شبابه وسيما جداً.. ، لهذا السبب جاء بزوجتة من قلب مدنية الأسكندرية - على قدر من التعليم ، و ابنة كاهن- ، كانت تحفظ الصلوات كلها عن ظهر قلب. كانت محبة للصلاة و التسبيح ، لم تكن تعرف أشغال الفلاحة ، فتعلمتها عن طيب خاطر. على الرغم من سلفتيها لا تعيشان بالقرية و تعيشان بالمدنية . لم تغِر يوما منهما ، و إذا جاءت إحداهن للزيارة كانت تقابلها كأنها توأمها . كانت نفس حرة من الطرازِ الأول..كانت تقتني أدوات الزينة.. كانت حلوة الكلام ، عذبة اللسان ، محبةً للجميع..لا تعرف الكره أو اللوم أو النميمة.. طيلة طفولتي لم أسمع منها كلمة إدانة لأحد.

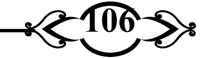
أما خالي فكان فظا معها.. في موسم جمع القطن ، كان يخرج كل يوم منتصف الليل لجمع القطن و كانت تخرج معه.
رزقها الله البنين و البنات..أراد خالي أن يسحق شخصيتها..عاملها بعنف و هي منهجها المنطق.. عاملها بدكتاتورية و هي منهجها الديمقراطية تحملت حتي زوجت ثلاثة بنين..
ثم هزمها فهزمته. اعتزلت العالم ، اعتزال كلي ، لزمت حجرتها..لم تكن تكلم أحدا إلا أبناءها.. عندما كنت أود رؤيتها تستقبلني..تجلس و تتحدث معي ، و حينما تركت القرية و عند زيارتي النادرة لبيت خالي كنت أطلب مقابلتها فكانت تقابلني ، عندما مات خالي ، كان لي بضع سنوات لم أرها.. طلبت هي رؤيتي..و عندما عزيتها تضايقت.
لا أنسي أناقتها و ملبسها المميز عن باقي نساء قريتنا..
أتذكرها كثيرا و أصلي من أجلها ، كانت هي الأخرى " إمرأة فاضلة مَن يجدُها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"
علمتني ..
"أن مهما كان جبروت الرجل يمكن لحواء قهره بالصمت و بالصمت فقط."

القابلة

كانت امرأة عجوزا ،
لا يكاد يمر العامُ إلا و تكون في بيتنا ، كانت تطلبني لإسندها عندما تريد قضاء شيئا ، و لكن لا تستند على إلا للضرورة القصوى ، و تعتذر قبل و بعد..ربما كانت تعتذر لي عن يوم مولدي بطريقة غير مباشرة. كانت تطلب يد الرب دائما ، تعلمت منها" الإعتماد على الله.." و لا أطلب شيئا من أحد إلا إذا كنت في أمس الحاجه إليه.

جدتي

جدتي لأمي : هي أرحم يد مدت إلىّ..كانت تَبعث فيّ الثقةَ بنفسي و تعملني "الإستناد على الله" أيضا . كانت تقول لي أنتِ بصحة جيدة و



الأطباء لا يفهمون شيئا..و عندما أسألها لماذا تقولين هكذا؟..كانت تجيب..المجهود الذي تبذلينه لا يبذله إلا الصحيح المعافي و مرضي سوءُ تعذية . و لا تتناولي هذه الأدوية ، و بعد وفاتها اكتشفت أن معظم أوقات مرضي كانت بسبب..أنيميا حادة مزمنة. لي جدة ، أخرى حنونة..هذه كانت ببلدتنا و زوجة عم أمي..و قتما ذهبتُ إليها قدمت لي الحلو كله ..من مقابلة و ترحيب ، و طعام... و كانت أيضا "إمرأة فاضلة مَن يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ".

يوجد عجوز أخرى كانت جارتنا..

أم الأستاذ القديس..كانت قديسة..لم ترد طلبا لطالب..

كانت تحكي لي عن زفافها ، و فستان زفافها الحرير الطبيعي المرصع بالألماس الحر ، و أنها تحتفظ به إلى الآن..لكن أبدا لم ترني إياه..ربما كانت تقصد الكريستال الحر.

تعلمتُ من حكاياهم و تصرفاتهم و أصبحت عجوزا و أنا في صغري.

لم أكن أجالسَ أقراني إلا قليلا ..في المدرسة فقط. فكانت مفردات لغتني أكبر بكثيرمن عمري الزمني.

الخالات

كانت لي ثماني خالات كلهن جميلات..أربعةٌ منهن متزوجات في مناطقَ بعيدة ، و الأربعة الأخريات لم يتزوجن ، لأن خالي عطا كان يخشي طمعَ العرسان ، إذا صادفت إحداهن كانت تغدق على حنانها.. إحداهن تسميت أنا على اسمها ، و تزوجت بسبب حبي لها..هي حنونة أقصي درجات الحنان..لكن حينما تقسو لا تعرف الهوادة..

عندما أنهيت دراستي ، كنت أذهب لزيارة خالاتي العوانس ..كن يهمسن في أذني..تزوجي لا تكرري تجربتنا..إن كان طامعا الذرية ستعلمه الجود.. و إن كان سيئا الذرية ونسْ لكِ ، كنت أهمس أنا الأخرى ، حاضر.

العمات

كان لي عمّتان ..
الأولى متزوجة شمال شرق القرية ، و الثانية متزوجة غرب القرية ، و كلتاهما غنيتان. علاقتي بهما كانت متأرجحة ...

جارتي

بعد الزواج كان لي جارة(تاجرة) تجاوزت الثمانين. كانت حريصة من الجميع..و لا تثق بأحد. لكنها كانت تثق بي فكنت إن طلبت جنيها منها كانت تعطيني ثلاثة..
كنا قد اشترينا بيتا في منطقة متواضعة و لا نملك نقودا من كثرة التدبير ، فكانت تفك أزمتنا. كانت حكاياها حلوة و جميلة.. و واقعية..ليست كتلك التي كنت أسمعها في صغري.. حكاياها حية..و شخصياتها مملوءه بالحياة ، كانت عفوية في حكاياها..و أحيانا خبيثة في نواياها..إذا دخل رجل غريب شارعنا ليلا ، نادت عليه من مخدعها ،
ما الذي أتي بك هنا يا فلان؟!
كانت تحب أنجيلوس و تقول عنه أنه رجل حمش.
"فيقولُ له: ما هذه الجروح في يديك؟ فيقول هي التي جُرحت بها في بيت أحبائي ."

الباب الثاني
الفصل التاسع
حزمة من الورد

كنت أكمل دراستي في دمياط و عملي في مدنية خالي ، في تلك الفترة و قبل زاوجي ارتبطت بصديقات جدد ، من الجيران ، العمل ، المجتمع و الكنيسة.
سوف اسميهن جميعن نفس الاسم (لما.......) سميهن أنتَ .
منهن الموظفة ، و منهن سيدة المنزل ، و منهن من أصل بدوي ، و منهن من أصل ريفي أو أصل حضري ، من القاهرة إلى أسوان .

لما 1

كانت زميلتي بالمعهد ، تعرفت عليها بقنا ..كانت مسيحية و مطلقة ، كان المجتمع ينظر إليها على أنها مخطئة ، أعتبروها متمردةٌ جرحت سياق المجتمع العام لأنها في قلب الصعيد . رغم أن حجة طلاقها هو المبرر الوحيد لإنصاف المرأة في مجتمعنا الشرقي . تعرضتُ للنقد لمصادقتها أحيانا كثيرة..كانت تحب الملابس الغالية الثمن.. كانت تشتري لي معها كل شئ تشتريه و كانت تتعجب من بساطة مظهري حينما تعرفت على خالي ،
(لما1) تخلصت من زواجها بعد أربعين يوما زواج و أخدت بطُلان زواج.
لا تعرفَ ما معني بطلان الزواج ..؟!
سوف أشرح لكَ..
بطلان الزواج يختلف عن الطلاق و مفاده أن يعتبر الزواج كأنه لم يكن. يؤخذ لأسباب. و هو غير الطلاق الذي يحدث لعلة الزنا.
البطلان يؤخذ مثلا في حالة أن أحد الزوجين لديه مرض مزمن ، أو عدم القدرة على الإنجاب أو عدم القدرة على إقامة علاقة محبة ... و أخفي

الحقيقة عن الطرف الآخر .أو عدم وجود شرط الرضا لأحد الطرفين و الأهل كرهوا الإبن أو الابنة على الزواج .
إذا صرح الطرف الكاره قبل انقضاء ثلاثة شهور من الزواج ، و أثبت ذلك بشهادة الشهود يأخذ بطُلان الزواج.
و شاء القدر أن تتزوج بالمدنية التي أعيش فيها و تجددت صداقتنا .
(لما1) أخذت بطلان زواج. أما (لما1-1) كانت نفس الحالة بنفس الإسم ، لها نفس المشكلة استمرت فيها لمدة عشْر سنوات في المحاكم ، و كانت تنال العطف من الجميع..أما (لما 1) كانت تقريبا مزدرة من الجميع ، رغم أن الظروف واحدة و المشكلة واحدة . صديقتي تزوجَت برجل آخر فاضل ، و عاشت حياة ما بين بين ، (لما 1-1) تزوجت و عاشت حياة سعيدة.

لما 2

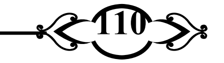
كانت نفس ظروف لما 1.. و لكنها مسلمة..لا تنجبُ ، استمرت العديد من السنوات ترفض الزواج.. لكنها تزوجت سرا في النهاية ، لماذا؟!!
لأنها تزوجت من ضابط بالجيش .و كان هذا شرطه ، و بعد خمس عشرة سنة أعلنت الزواج .الذي كان شبة معلن للأقربين.

لما3

كانت طبيبة بشرية و جريئة و ذات علاقات متعددة.. كانت تقول أنها متحررة ، قطعتُ علاقتي بها بسبب هذه الكلمة "متحررة".خفت أن تكون شاذة ، فقطعت علاقتي بها تدريجيا.

لما4

كانت إحدى زميلاتي بأحد أماكن العمل. كان ينطبق عليها "إمرأة فاضلة مَن يجدُها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"...كنت أحيانا أحتفظ بنقودي معها و



لا أعرف كم مدخراتي معها.. ذات مرة كنت أسألها هل المبلغ كذا...؟! كانت تقول لا ما زال الطريق طويلا ..أعطني المزيد. و في النهاية أبلغتني أن لي عشرة أضعاف ما كنت أود. شجعتني لشراء بيت و وفقني الله و اشتريته. كانت تتحمل مآسي كثيرة تكفي جيلا بأكمله ، كانت تتحملها في رفق و صمت.

لما 5

كانت زميلة عمل أيضا. كانت حياتها سلسلة من المآسي الثقيلة ، كنت أحكي لها كل شئ.. كانت تعطيني النصيحة و تخبرني بما سأفعل في المستقبل..!..كل ما كانت تقوله كان يتحقق ، كانت علتها زوجها ، الذي يأتي بالنساء الغانيات إلى بيتها في غيابها ، و كثيرا ما كانت تضبطه ، لم تكن تستطيع التكلم.. لأنها عارضت الجميع و تزوجته ، رغم عدم موافقة أي من الأهل أو الأقارب أو الأحباء.

اختارته و تحملت نتيجة اختيارها بشجاعة..و في نهاية أيامه تحملت منه الكثير كانت تجلس بجواره بالمشفي تخدمه و تواسيه..حتي توفاه الله..

لما6

خادمة في الكنيسة..كانت بسيطة و مُحبة ، متزوجة منذ سنين ، و لم يعطها الله أبناء ، تعيش حياة الشكر و القناعة ، لم أرها يوما تخطي من أي نوع ، لا نميمة أو تذمر أو حتي أبسط الخطايا. تخدم في صمت وحكمة..

هي أيضا "إمرأة فاضلة مَن يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"

لما7

مسيحية مطلقة ، حكاياها كثيرة عن زوجها ، و خيانته ، هو تزوج و أنجب أما هي فلم تتزوج مرة أخرى لم تود إعادة التجربة مرة ثانية ، كل حكاياها معقدة تحتاج إلى تحليل نفسي..

لما8

كانت زمليتي بالعمل..كانت بكرا لكنها كانت محترفة في إيقاع الرجال. كانت أحيانا تصاحب رجلين في نفس الوقت.. كنت أعاملها حسنا ..أسمع عنها من الخارج و يرفض عقلي الصغير أن يصدق بشاعة ما يقال عنها ، ابلغني الناس أنها كانت تقول لماذا يصاحب الرجل أكثرَ من فتاة في نفس الوقت..؟! شاءت الظروف أن أجلس معها منفردتين في أحد أماكن المصايف.. أعترفت لي بكل شئ و تابت..لكن مجمعتنا لا يعرف التوبة ، يمسك بالعار و ينشره و يرفعه كاللواء.. يتذكره جيدا..و إن نسيه يضع علامة مميزة ليتذكره ، و دفعت ثمن رعونة الصبا و الشباب.. و يوجد أخرى (لما 8-1) لم تتزوج عاشت بكر لكنها كانت عفيفةإلى أقصي درجات العفة.

لما 9

زميلة بالعمل ..الإبتسامة لا تفارق وجهها ، تقف بجانب المظلوم و المقهور دائما. لا يوجد مشكلة إلا و لها حل..مُجاملة في المناسبات ، و حكيمة في المواقف ، و أحيانا صريحه تصل لحد الوقاحة ، و جرئية لا تهاب أحدا ، محبوبة من الجميع..

مواقفها لا تنسي..

قلبي يحدثني بأنكَ تشعر بأني أدخلت القصص ببعضها و خصوصا المطلقات

لأنكَ لم تسمعْ من قبل عن مطلقات مسيحيات في هذه الفترة...

لا لو رجعت بالبحث على الإنترنت في تلك الفترة ، و هي العِقِد الأخير من الألفية الثانية ، ستجد حالات الطلاق لدي المسيحيات تعدت عدة ألآف من حوالي عشرة ملايين نسمة تعتبر نسبة ضئيلة ، لم يكن أُقر بعد الزواج المدني للمسيحيين.

هل فكرت في أسماء لهؤلاء النسوة أم لا..



إذا لا لمَ لا تفكرَ معي؟

و إذا نعم احضر قلما و اكتب الأسماء لأرى هل الأسماء نفس الأسماء أم قريبة منها أم مختلفة هيا ..اكتب..

1- لما 1............................ لما1-1.......................

2- لما 2............................

3- لما 3............................

4- لما4............................

5- لما 5............................

6- لما 6............................

7- لما 7............................

8- لما 8............................ لما8 -1.......................

9- لما 9............................

كنت أثق بأنك ستختار أسماء قريبة جدا من أسمائي .

أحسنت...و أنت هناك أسمعك تقول لم أكتب بعد....هيا فكر ..و اكتب.

" تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين و الثقيلي الأحمّال و أنا أريحكم."

الباب الثالث
الفصل الأول
الإلحاد

بالطبع اليوم لا تعرفْ ما هو الإلحاد؟ هو ما تدَّعُونه اليوم (الكونيون). هذه الفئة الآن منتشرة و يعلنون عن أنفسهم ، أما في الماضي فكانت قلة قليلة منهم هي التي تعلن عقيدتها فى صراحة و وضوح .اليوم هم كثيرون ، و حتي المؤمنون ملحدون..عدم الصلاة إلحاد بصورة غير مباشرة (إلحاد مُقنَّع) ، ترك الفقير و الأرامل و ذوي الحاجة إلحاد.

ماذا يفيد إن كنا نؤمن أن الله واحد ، و نظلم و نقهر و نشتم و نذم و نزني و نقتل ، بلا جهاد في حياة الفضيلة ، بلا عطاء للآخرين ، بلا زيارة للأرامل و المحتاجين و المعوزين بلا غض بصر و بلا حشمة؟....

الشياطين تؤمن أن الله واحد ، و موجود وقوي و محب لبني البشر و كبير.

لكن ماذا عن أفعالها؟!!

تفعل عكس إرادة الله.. و ماذا نفعل نحن ؟

نفعل كالشياطين نؤمن أن الله واحد ، و أفعالنا عكس إرادته سبحانه.

كل ملحد ينكر وجود الله أشجع من مؤمن لا ينفذ مشيئة الله.

الملحد صريح مع نفسه ، أما المؤمن ليته يصل لتلك الصراحة ، فيعدل سلوكه و يقوِّمه..كل ملحد أصبح ملحدا لأنه لُدغ من مأمن من أحد المؤمنين الصالحين المرائين بإيمانهم..

كل ملحد تعرض لقهر و ظلم و تشويه و أحيانا قتل معنوي..

كل ملحد مصاب إصابة بالغة في قلبه لم يجد من يعزيه أو يرفع عنه حزنه..
أنا نفسي... فتحت باب الإلحاد و كدت أدخله ..
لولا زوجي شدني إلى الله مرة أخرى..
نعم
أتتعجبْ؟!
لا تتعجبْ من شئ.. أغوار النفسِ البشرية ليس لها نهاية ، و مخطئ من يظن في نفسه إنه عارف بأنفسِ البشر !!!.. "لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه" ...
في فترة من الفترات مارس زوجي الضغوط عليّ بكافة أشكالها ، يتقاضي مرتبه و لا يتبقي لي منه شيئا..ليس عن قصد منه ، لكن سوء تصرف و عدم حكمة ، لم يكن يعطيني نقودا و اعتمد كليا على مرتبي.
الأولاد .. و حمل مسئولياتهم من مرض لغذاء لتعليم ......
أمي تعيش معي تتدخل في كل شئ و تريد السيادة ، جسدي مرهق ، متعب ، و مسئوليات عملي..و شك زوجي الدائم بي ، و تخوينه لي... كلما رأني أخاطب أحدا الرجال أو ألقي التحية ، أو حتي أذكر اسم رجل ، يتبادر إلى ذهنه أنني ربما خنته معه ، أو سوف أخونه أو أنني أفكر حاليا بالخيانة. ، و تلك الأفكار كانت تنحرني كل يوم.
في أحد الأيام جاءت إلينا إحدى قريباته الأرامل لتجهيز ابنتها..بالطبع لم يكن معه النقود ليساعدها..كان يريد أن يصبح مثل خالي ، يعول عدة فتيات و فتيان.. لكن من أين له بالنفقات؟!
المهم جاءت المرأة ومعها ابنتها العروس ، قمت بإعداد الطعام ، و حصر الطلبات و ما معها من نقود ، و في الغد أخذت إحدى بناتي معي و نزلنا لشراء اللازم ، و كان لي مدة منذ أن تزوجت تقريبا لم أزر هذه المحلات التي كانت تشارك خالي بركة العطاء لتجهيز الفتيات.
و كان موعد أحد الأعياد.. و أقنعت ابنتي الصغيرة أن لا تطلب أي شئ لئلا تحرجَني.. و نفَّذت الصغيرة و عدها و لم تطلب أي شئ.

و اشتريت جميع اللازم للعروس ، و فرح أصحاب المحلات برؤيتي و شاركوا بطريقتهم معي .. و كنت أدخر نقودا بالمصرف لشراء مستلتزمات العيد و ملابس أطفالي الأربعة ، ذهبت و أحضرتها كاملة من المصرف و أنفقتها على العروس ، و أكملت كل شئ كما هو مطلوب ، و لم يتبق معي ثمن المواصلات الداخيلة .. اضطررت أن أعود مشيا على الأقدام ، بعد مجهود تسع ساعات من الشراء و المفاصلة و المفاضلة..عدت للبيت أنا و ابنتي منهكتي القوي..كنت أتوقع أنه سوف يقدر ما فعلته.

و أنني أخذت نقود الطوارئ ، و نقود متطلبات العيد لأبنائي و لي و سترته بها أمام أهل بلدته. عدت لأجد وحشا كاسرا بالبيت.. صراخ و صخب و تذمر....فقط لأنه جائع..

وصل به الأمر إلى أنه عجز عن توفير كسرة خبز له و للأولاد ، أو أن يطلب وجبة جاهزة لأبنائه أو تجهيز وجبة خفيفة. و بالطبع جهزت الطعام و أنا في قلبي حُرقة و في حُنجرتي غِصة ..

ألوم الله.. نعم ألوم الله..

تذمرٌ ، ندم ، غليان داخلي...

قلت في نفسي..

هل ظللت طوال عمري أطيع هذا الإله الظالم...؟

كنت أسلم حياتي إلى هذا الإله المستبد..

تزوجت زوجي هذا بعد صلوات و مشورات من الله

و ماذا ؟!..

لم أعص الله ابداً ؟! و إن عصيت قدمت التوبة و الندم

أُطيع زوجي فوق ما أحتمل..أطيعه في كل شئ..في أي وقت ..

هل هذا جزائي..؟ كان صدري يغلي ..

و أطمعت أبنائي و أدخلتهم إلى أسرتهم.

و عدت و الدموعُ في عيني كنت أعيد ترتيب المائدة و ما عليها بعد العشاء.

كنت مقهورة مجبورة..

و كالعادة لا أجد سبيلا للخروج من البيت حتي إلى سور الحديقة لأستنشق الهواء.
و ممنوع على غلق باب الحجرة من الداخل لأي سبب..
حتي البكاء حرمت منه ..حتي الحمام ممنوع غلقه من الداخل ، لا أجد من أشكو له ليواسيني. ممنوع التحدث إلى الغير لأي سبب..
هذا الإله الذي أثق به رماني في مستنقع لا سبيل للخروج منه.
أين هو الله ؟!
لا يوجد الله...
لو كان موجودا كيف يسمح بتلك الأفعال؟! لماذا لا يرسل من ينجدني؟!
كنت أبكي بحرقة شديدة و مرة لكن في صمت.
بينما أُنهي تنظيف المطبخ دموعي تنزف بغزارة داخلي دون صوت ، البكاء محرم على أو الأفصاح عن ضجري .أو المناقشة ، لأني غيبة لا أفهم مثله .
بعد أن تناول العشاء وانتهيت من كل شئ قدمت له الشاي ، فنظر في وجهي فأحس بفُجر ما فعله.
فقال لي..
سلمت يداكِ. الله ...
حينئذ أنفجرت فيه دون أن أدري ، و كسرتِ كل القواعد التي وضعها.
و قلت له ...
الله....!
أين هو الله ؟
لا يوجد إله من الأساس..
ذُهل الرجل وهب واقفا..مدهوشا مذوهولا ، و سكب كوب الشاي الساخن على ملبسه
ماذا تقولين...؟! !!!
أجبت بحرقة..
لو كان هناك الله ، كيف أعهد إليه نفسي ليسلمني لك تفعل بي ما تفعل..
ترغمني على كل شئ لا أريده..

كيف أفعل معك كل حسن لترده كل سوء..
جذبني في حضنه (أنا أقاوم) و ضمني إليه بشدة لم يدعني أكمل و قال لي لا تكملِ
أنا سئ للغاية و غير محترم و لم أتلق أي تربية ، أنا معقد و ظالم و لا أستحق أن تكوني لي..أنا سئ و أستحق القتل ، لكن الله موجود .
السئ أنا و ليس الله.
-الله موجود-
و أكمل ..
نامي و استريحي الآن ، و لو أردت غداَ إجازة من عملك لا مانع ، و أنا ساقوم بجميع الأعمال للأولاد في المنزل.. و واجبات الدراسة..
نمت من شده تعبي و ألمي.. ذهبت إلى العوالم الأخرى..
ماذا إن لم يكن رد فعل زوجي هكذا؟!
كنت الآن ملحدة. فليغفر لي الله فرحمته غلبت عدله.
أما الآن .. أصلي من أجل كل ملحد ..
و أناشده عد إلى الله ....كلمه ، خاطبه ، تناقش ، تحاجج معه.
من ظلمك هو الإنسان. لكن الله كله محبة.
"توبني فأتوب لأنّك أنت الرّب إلهي"
في الربع الأول من هذا القرن ، كنا نجاهد لبناء كنيسة أو تجديد كنيسة أما الآن في ..الربع قبل الأخير منه ، فالكنائس تبني بكل سهولة لكن الناس لم تعد تدخلها .
رجال الدين عامة اليوم بعدوا كثيرا عن الهدف . شق تدخَّل في أمور السياسة و الشق الآخر لم يعد يهتم إلا بالمباني الرحلات لبلاد أوربا و استراليا ، و أصبح الإهتمام بشكليات العبادة أكثر من الإهتمام بالجوهر.. سمحوا بالزواج المدني ، و تدخلت السياسة بأمورهم و الأمور خرجت عن السيطرة. بالإضافة أن دور العبادة أصبحت مؤسسات إقصادية ضخمة..تبيع و تشتري .كيف يجتمع المال مع الله " لا يقدر أحد أن يخدم سيدين"... خدمة النفس البشرية أصبحت نادرة . لكن الله
"لم يترك نفسه بلا شاهد"

الباب الثالث
الفصل الثاني
الجنون

لأني تخطيت الثلاثين ، تنازلت عن أشياء كثيرة في زواجي أهمها كانت كرامتي..
فلم أشترط (شبكة) أو أثاث أو غيره..كان كل همي أن أكوّن أسرة بأسرع وقت.. السنون تمر بسرعة فائقة .. و أحساس الوحدة في منتصف العمر مرّ و موجع..
تقدم لي أنجيلوس ، و كان شخصية مرموقة رغم تواضع مهنته بالنسبة للوسط الذي أعيش فيه.. لكني لم أعر ذاك الوسط إهتماما. عملت بنصيحة صديقتي ، و بحثت عن السمات الشخصية فيمن سأتزوجه..
و تزوجت و اعتزلت المجتمع بناء على رغبة زوجي .. حتي مساحيق التحميل لم أعد استخدمها و تغيرت ملابسي بحسب رغبتة..
و تركت العمل عند خالي ، و التزمت و ظيفتي بالجهاز الإداري للدولة ..و خدمت بيتي في صمت ، و تكيفت مع مواردي القليلة.
و حبلت بابني البكر..و وضعت بعملية قيصرية و أصبت بإكتئاب ما بعد الولادة ، و كان إكتئاب حاداً ، كنت أظن أن الجميع سيفرح معي بعطية الله لي..كما كنت أفرح و أشارك الجميع.. توقعت المحبة من الجميع ..كنت أتخيل أن جميع الناس ستفرح معي كرد فعل لما كنت أقدم.. و فوجئت بالجفاء من الجميع ، منهم من غار ، و منهم من حسد ، و منهم من لم يهتم.. ربما تسع و تسعون بالمئة من المجتمع يعرفونك للمصلحة و مع أن عمري تخطي الثانية و الثلاثين لكني كنت مازلت طفلة لم أفهم الناس لم استوعب هذا الـ.....
تلك كانت صدمتي الأولى بالمجمتع..

اقتربت من الجنون.. حدثت لي مضاعفات بعد الولادة و الطبيب المعالج لا يستحق أن يُدعي طبيب ، اللقب الأنسب له هو جزار ، بعد الولادة ، أحسست بآلام رهيبة لم استطع تحملها.... وصل الطبيب في الوقت المناسب و جدني أصرخ و أقطّع في شعر رأسي ، و لون وجهي و جسدي تحولا إلى اللون الأزرق يشوبة السواد ، فأعطاني أكثر من ست أمبولات(حقن) في الوريد و في المحلول الملحي..بعد الساعتين عاد لون وجهي و عاد لي عقلي .
لو تأخر عدة دقائق كنت في عداد المجانين لولا أن الله معي ، ما كنت حتي الآن.
قيل لي من أطباء بعد ذلك ، أن نوع المخدر الذي أخدته أثناء الولادة من النوع الذي يعطي للحيوانات و كان يجب أعطائي محلولا ملحيا بكمية معينة قبل إجراء العملية.
لا ألوم المدمنين على عدم الأقلاع..
الآلام التي يسببها انسحاب المخدر من الجسم رهيبة ، لو كنت مدمنة ، و كان الثمن للإقلاع عن الإدمان تحمل هذا الألم لن اتعالج.
بعد الميلاد بعشرة أيام أصبت بلوثة ، كنت أرى أشكالا على الحائط..وجوه بشر أعرفهم و لا أعرفهم تتغير من وجه لآخر..كان الألم في جسدي رهيب..
لكن معونة الله تصنع المعجزات..
تعرضت من قبل لآلام كثيرة لكن هذه الآلام أكبرها.
تعافيت من أزمتي بفضل الله و إرادتي و أبي الكاهن الكبير ، الذي ساندني و ظل يزورني يوميا حتي اطمأن عليّ و أنني مررت الأزمة بسلام.
ظللت أربعين يوما لا أعرف عن الدنيا شئ.. كنت أنام نوما عميقا ..
أمي توقظني لأُرضِع الصغير ، أو آكل و أنام ..كنت في شبه غيبوبة
كنت أسالها هل نحن صباحا أم مساء؟
بالكاد أصحو عدة دقائق وأعود إلى عوالمي الأخرى..
مرت الأزمة ، و نسيت الجفاء من الجميع..و أنجبت بنتين توأمتين ثم ابني الصغير.. في مدة أربع سنوات و كان له أثر بالسلب على صحتي.

منعني أنجيلوس من الذهاب للطبيب كلما مرضت مرضا من أي نوع ، يجب أن يكون الطبيب امرأة..
ظللت لثلاث سنوات و نصف أعاني من نزيف اللثة ، و أذهب إلى الأب الكاهن الكبير أشكو له فكان يعطيني كافة الأدوية التي لديه لشفائى..
إلى أن جاء اليوم الذي تطلع إلى رب الكون ، و وافق زوجي و ذهبت لطبيب الأسنان..
كان زوجي يسألني عن كافة ما أفعلة ، ماذا قلت؟! ، و لمن ؟! ، و ماذا أكلت مع زميلاتي بالعمل..؟!..كان يشك في سلوكي ، و عندما أواجهه يقول :أنه يثق بي و لكنه لا يثق بالمجتمع.... إذا تأخرت ببيت خالي إلى الساعة التاسعة مساء ً صيفا ، يكون هذا من الكبائر.. و كلما شكوته لأحد لا يكترث ، و يقول حقه. تنصل الجميع من المسئولية ، و تركي بمفردي وسط كل هذه الأزمات كان سببا وجيها للجنون ..لولا صوت الرب معي . و كلما وقعت في فخ التفكير أرسل لي الله معونة بطريقتة الخاصة ، و كان يسندني في ضعفي دائما. و شعوري أني بين يدي الله دائما كان ينجيني و يرد لي عقلي .
القصة التالية تطبيق عملي تثبت أنني دائما بين يدي الله...
و قبل أن أسردها لك أريدك أن تعرف أني وافقت علي ترجمة قصتي هذه إلي اللغة العالمية (خليط من كافة اللغات تم إعتمادها عام2043 كلغة رسمية للحوار في المحافل الدولية) حتي تصل إليك .إذا كنت عربيّ أطلب النسخة الأصلية من القصة وعد إلى لغتك الأم فما أجملها و أروعها لغة .
كيف وصلتم إلى هذا الحد من إهمال هذه اللغة الأصلية..؟! ، لم تعد مستخدمة إلا في مجالات ضيقة ...أود منك أن تبحث عن كنوز هذه اللغة و تستمع بها فهي جزء أصيل من هويتك.
"حافظ العهد و الرّحمة لعبيدك السائرين أمامك بكلّ قلوبهم "

الباب الثالث
الفصل الثالث
بين أيدي الله

المكان : مشفي
هناك أناس كثيرون لكن الهدوء و روح الإحباط تسيطر على المكان ، رائحة الديتول و الفينيك تغطي على المكان أكثر من أنفاس الناس.
(.................تسعة) رابضة على أحد الأسرَّة في العناية الفائقة .
أمس حلم الأب الكاهن الذي كانت تذهب إليه لجلسات التفريغ النفسي ، بها و بماريز..
في الصباح سأل عن (.................تسعة) فأخبروه.
جاء إلى المشفي .. تقدم بعض الناس لتقبيل يده ، ثم تقدمت سيدة أنيقة لا يعرفها و قبلت يده..
الكاهن: من أنتِ يا ابنتي؟
ماريز: ماريز.
الكاهن: أهلا بك يا ابنتي أأتيت من خارج البلاد من أجل (.................تسعة) ؟
ماريز : نعم.
الكاهن:نعم الأخوات يا ابنتي..
ماريز: لم أتحمل أن أسمع أنها على أبواب الموت و لا أحضر لكي أراها.. أريدها أن ترتاح ، أما آن الآوان بعد يا أبي : أن ترتاح ؟
الكاهن: ناظرا إلى أولادها .. ماذا عنهم ؟! إذا كان المجتمع فعل هذا بالعود اليابس فكيف تكون أفعاله بالعود الرطب؟!
ماريز : إنهم أعواد يابسة مثل أمهم و لهم أبا حنونا..

قد يكون أرعنا ، لكن أظنه تعلم التدبير من زوجته ، و سوف يتغير إن تحمل المسئولية..
الكاهن: هل تظنين؟!
و ماذا إذا تزوج قبل الأربعين؟!
ماريز : لا أظن من يعاشر (..................تسعة) يعود و ينظر لأخرى.
الكاهن: أنتِ لا تعرفين الرجال..!
ماريز: أنت يا أبي تعرفه أكثر مني.
الكاهن: لا يا ابنتي : أنا لا أعرفه إلا من خلال حكايا (..................تسعة) عنه ، لم أقابله إلا مرة أو مرتين.
و ساد الصمت
و أغمض الكاهن عينيه و أسند راسه بالحائط و ذهب في غفوة و إذ به ينظر (..................تسعة) مبتسمة ...
(..................تسعة) :- هل جئت يا أبي من أجلي؟!
الكاهن :نعم .
(..................تسعة) :- هل أنا غالية عندك؟!
الكاهن : نعم. ألا تعرفين؟!
أود أن أقولَ لكِ يا ابنتي: ليت نصف نسائنا مثلك ياليت ربع أناسِيْنا مثلك. ما كان المجتمع سيضحَي مثل الواقع الآن..
(..................تسعة): أود أن أكمل لك حكايتي حتي تخبرها للناس ، كي تتدبر في أمرها و كل يفكر فيمن حوله..
الكاهن : كفاكِ ابنتي حكايا.. أنت ، مريضة و الراحة لازمة لكِ.
(..................تسعة) :- إذا أكمل عني..
الكاهن : إن كانت الكتب المقدسة لا تفيد فهل ستفيد حكايتك يا ابنتي؟!!!
(..................تسعة): و أين أنا من الكتب المقدسة..!
أكمل قصتي حتي لا تًصاب أي إمرأة بالإكتئاب و تتمني الموت ،
أكمل قصتي و اخبر نساء بلادي...أن يقاومن الشر و الإحباط ،
أخبرهن أن السعادة كامنة في قلوبهن..
أخبرهن أن الضغوط يمكن أن تصنع السعادة..

أخبرهن ألا يحملن فوق طاقاتهن..
و أن يربين أبنائهن على أن الرجل هو الذي ينبغي أن يحمل المسئولية..
و أن المرأة مجرد مُعين و سند له...
ربما تتبدل المفاهيم ، و ينزل الرجل من عليائه و يحمل مسئوليته التي أوكل الله إليه بها..
و أخبرهن أن يربين بناتهن على الرقة و الجمال...
و أنهن مخلوقات جميلات خلقن من لحم ودم ،
أن الطاعه للرجل مشروطة بحدود الله.
و أن الرجلَ لا طاعة له فوق طاقة المرأة.
الكاهن :لماذا أخبرهم أنا ؟! قومي و أخبريهم أنتِ.
(..................تسعة): لم أعد أريد الحياة كفاني تعبا..
الكاهن : أتويدين مني أن أخبرهم أن القهر قهرك ، و الألم غلبك ، و الإكتئاب أنتصر عليك ، و لم تستطيعي صنع السعادة من داخلك و إنك فشلتِ!!!
(..................تسعة): لي من العمر أربعة و خمسون سنة أحارب كفاني.
الكاهن :المهم النهاية..
(..................تسعة): المرض يا أبي..
الكاهن : إذا كنت تودين أن أخبر نساء بلادي أن يفرحن و يتنصرن على القهر و الألم و الإكتئاب والظلم قومي أنت ِكي آخذك شاهد..
(..................تسعة): لا أستطيع.
الكاهن : تستطيعين.
(..................تسعة): لم أعد أحتمل .
ماريز بالخارج جاءت إليك من خارج البلاد ، و بدور صديقتك - كما كنتِ تصفيها لي هي أيضا بالخارج. و أنا هنا.
و معارفك ، و كثير من زملائك بالعمل..و حتي عائلتك التي أوسعتك ظلما و قهرا بالخارج .
(..................تسعة): لا أريد رؤية أحد من عائلتي.

الكاهن : أنتِ على أبواب الإنتقال و تقولين هذا الكلام؟
هل ستخسرين إحساناتك في النهاية؟
(.................تسعة): لا أبي لم يعد لي طاقة لرؤيتهم ، أنا غاضبة و منزعجة منهم.
الكاهن: أتركِ.. كعهدك الأول و جددي طاقاتك و قد أخذتِ فترة استجمام كافية ...
فقومي من أجل أولادك و أحبائك.

نادى أحد الحاضرين على الكاهن فقام مضطربا.
أعطاه المنادي شيئا ليشربه مع بعض الأدوية.
بدأ الكاهن يرتشف المشروب و الحزن يعصر قلبه على تلك الابنة.
و ما هي إلا لحظات حتي جاءت إحدى الممرضات تنادي باسم الكاهن ، مطلوب على الفور..هبَّ الكاهن واقفا..
أخبرته في أذنه أن مريضة اسمها (.................تسعة) تريد رؤيته ، و أبلغته أن حالتها خطرة و يجب أن لا تتحدث كثيرا.
أومأ إليها بالموافقة.
دخل الكاهن إلى (.................تسعة) الرابضة على سرير وجعها ، كانت شاحبة اللون ضعيفة البينة ، كانت كالأسد المهزوم ، بالكاد ابتسمت حين رأته..مدت يدها وهمت لتقوم لتقبل يده..لكن سرعان ما تركت يدها بيده و غابت عن الوعي ، أخذ الكاهن يدها و قبلها هو..و بكي بكاء مريرا على تلك الابنة المباركة..
بكي و كأنه لم يبك أحدا عزيزا من قبل..
بكي و كأنه ينعي الإنسانية بكاملها..
بكي كأنه ينعي الرحمة..
بكي كأنه ينعي الحب..
بكي كأنه ينعي الدين...
الدين..؟!
أين الدين...؟!

أين ذهب الدين مـْــــــــــــــــن عقول و قلوب البشر..؟!
نعم هو الدين..
إذا كان في قلوب هؤلاء دين..
لكانت هناك رحمة و محبة و مودة و حب الخير لتلك الابنة المسكينة.
و تساءل هل نعّلم الدين ؟!
كيف نعّلم الدين...؟! أين نعلم الدين...؟!
تنبه و الممرضة تربت على كتفه لتنبهه للخروج..
و جاءت إليه بمنديل مبلل و كوب وماء...
مسح و جهه بالمنديل و شرب الماء...
التقط أجزاء نفسه المبعثرة..
و سأل نفسه هل من الدين أن أسأل عن (.................تسعة) دون سواها؟!
الإجابة.. لا.
فبدأ بالسرير الأقرب و همس للمريض بالدعوات و سلم عليه و قال له كلمات مشجعه. كان رجلا عجوزا ينام بالسرير المجاور و يلف رأسه بـ "شال" (وشاح) . ثم فعل للجميع و اطمئن على الجميع و سأل إن كان يلزم أي منهم أي شئ لهم و لزويهم..
هناك في غرفه العناية الفائقة جميعهم يرتدون نفس الملابس ،
رجالا ونساء ، كبارا و صغارا ، مسيحيون و مسلمون و يهود و ذوي العبادات الأخرى ، لا تمييز ، لا شئ يدل على التمييز ،
أنهى الكاهن مهمته وخرج. لا أحد يعرف أين ذهب؟ و لا من أين توه آت؟..
لم يجرئ أحد على سؤاله.
سلَّم على ماريز و باقي الموجودين ، و أشار لبدور بالتحية ، فقامت و مدت يدها لتصافحه فصافحها و قال اطمئنوا إن شاء الله خيراً.
و مضي..
أشار للشخص المرافق أن يقود السيارة ، و جلس بالكرسي الخلفي و أسند رأسه للخلف ، أعطاه المرافق طعاما للأكل..

أمسكه بيديه و شم رائحته النفاذة و بدأ يأكل دون أن يدري..
شرد ذهنه في عالم (.................تسعة)..
تذكر أول يوم رآها فيه ربما ربع قرن و أكثر..
و تذكر حين كان الشباب يتحدث عنها للأب الكبير..
يودون أن يتقدموا لخطبتها..
الأب الكبير كان يحبها و كان يقول عنها.."هذه من بركات الأرض..شخص يسعي للكمال..هذه ملكة يليق بها ملك و تصلح لمملكة"

و قال في نفسه..
عندما رأيتها لأول مرة شككت في أبي الكبير ..
هل هذه..؟!! كنت مازلت آخذ بالوجوه
سألت سرا هل هذه (.................تسعة)؟!
الإجابة.. نعم.
تعاملت معها من بعيد..
مرة و مرتان و ثلاثة..
و مرت الأيام إلى أن جاء دورها في إلقاء الكلمة..
كانت يومها تتحدث عن كيفية مواجهة الأزمة الإقتصادية بالإيمان بالله ..
و جاءت بمثل من الكتاب المقدس..
و إن فرج الله أقرب مما تتخيل..
كثيرا ما قرأت هذا الإصحاح (فصل من الكتاب المقدس)..
لكن لم يطرأ لذهني مثل هذا التفسير..
نجحت أن تقنع الحاضرين ..
" أن الله دوما قريب..و طيب للذين يترجونه.."..إذا طلبوه..
قمت في نهاية كلمتها و قبل أن أتوجه لإلقاء كلمتي ذهبت و صافحتها بحرارة شاكرا إياها ، ابتسمت بحياء و قالت لي كلمتك يا دكتور...
لم أكن قد نلت شرف الكهنوت بعد.
عدت لزوجتي منبهرا ، و قلت لزوجتي أود أن ابنتي التي لم تتجاوز الثلاثة شهور أن تمر الأيام و أراها مثل (.................تسعة).

عندما تشرفت بالكهنوت لم أر (...........تسعة) كثيرا و فهمت حينئذ لماذا كان يرفض أبي الكبير خطبت الشباب لها؟

لم يكونوا بمستواها فعلا..مرت عدة سنوات.. هي من سني تقريبا ، لكني تزوجت مبكرا ، و تزوجت هي متأخرا ، فوجئت بها يوما تطرق باب مكتبي في الكنيسة التي أخدم فيها ، تحمل طفل ويظهر عليها الحمل الثاني.. طلبت مني جلسات علاج نفسي.. على الرغم من ذهولي من الطلب إلا أنني وافقت على الفور... و لأني بالأساس طبيب...أديت الدور على أكمل وجه..

نادى المرافق أبي : الطبق فرغ ...ماذا تأكل؟!

أخذ المرافق ما كان بيده..

أعطاه شيئا ليشربه.

عاد ليتذكر ماذا قالت في جلسات العلاج النفسي...ابتدأ من محاولة لقتلها أو خطفها في طفولتها لأسباب لا أعرفها.. إلى محاولات التحرش المبكر الذي تعرضت له من مأمن .. و عدم محبة العائلة لها و نبذها في غياب أمها ..و معاملة أمها فوق القاسية..و الفترة العصيبة التي قضتها ببيت خالها مضطرة من أجل إكمال تعليمها..و من كان السبب في حذرها الشديد من الرجال كل الرجال..و الغيرة الشديدة و المؤذية من أقرانها و زملائها و أقاربها..و تخلي ألأحباء عنها في زواجها ليتني كنت أعلم..ما كنت أدخرت شيئا عنها و جعلتها أسعد عروس.

و تحطيم قلبها تحطيما مقصودا مع سبق الإصرار و الترصد و كسر فرحتها.

و تربُّص زملاء العمل لها للوقوع في الخطية و إنتصارها عليهم بمعونة الله و إرادتها الحرة..

و الزوج...الزوج الذي قهرها أكثر من كل هؤلاء في أول سنوات زواجها.

و الحادث الذي تعرضت له..

و كم المرارة و القهر و الظلم الذي عاشته ، بضع سنوات فقط استراحت ..فتأتي رصاصة قناص في رأسها لسبب غير معلوم..لماذا؟!!!

هذه الابنة المباركة.. النفس النقية التي كانت مثل شجرة الزيتون التي التف حولها البناتات المتطفلة ، و حاولت الفطريات و الحشريات إفسادها فلم يتكمنوا منها ، فأثمرت خير ثمار...
هناك آلاف من الطاهرات العفيفات و لكن (.................تسعة) هي الأكثر ظلما و قهرا.
كانت تعرف أصول الإعتراف:
أولا تحدد وقت لا يتجاوزعشر دقائق ، تحدد نوع الخطية و لا تدخل في تفاصيل ،
كانت تلتمس العذر دائما للمخطئين إليها ، كثيرا ما احترتُ كيف أجيبها لشده حكمتها ، أما في جلسات التفريغ حسب ما أطلقت عليها فأفاضت و اسهبت و كان ذهولي لكل ما تقول. أخذت الإذن مني للإعتراف عند أب مبارك أخر.
لأنها تعرضت إلى حادث و لها فترة لم تعترف بسبب ثقل حركتها فأعطيتها.
لم ارها كثيرا بعدها خمسة عشر عاما ليست بالقليل. لأن زوجها أجبرها على ترك الخدمة و هي تتبع كنيسة أخرى غير كنيستي و من بلدة أخرى .
أمس فقط حلِمت بها..كنت أتألم من أجلها..
لكني واثق أن الرب سيعوضها خيرا في الدار الآخرة..
إنها "إمرأة فاضلة مَن يجدها ؟ لأن ثمنها يفوق الآلئ"
كنت محموما لي ثلاثة أيام..
زوجتي و الأطباء يسهرون حولي..
و عندما أفقت أجريت مكالمة هاتفية ، و أخبرت زوجتي بأن لدي شئ ضروري لابد من السفر لأجله و ذهبت إلى (..........تسعة).
و عند العودة سألت زوجتي: لماذ لم تخبريني بأمر (.................تسعة)؟!
أجابت أنت لم تسأل و كنت محموما و نحاول إنقاذك..
عرفت أنها تلقت رصاصة بالرأس و هي خارجة من الكنيسة
لا أحد يعرف التفاصيل..

احترت كما الجميع..من يحاول قتلها الآن ..و لماذا؟!!!

" الرّب يعضده و هو على فراش الضّعف"

الباب الثالث
الفصل الرابع
في الطائرة

كانت ماريز تجلس في الطائرة و هي عائدة إلى بلد غربتها التي أصبح بلدها الآن
لقد عاندت زوجها ، و أصرت للنزول لمصر لتري صديقتها..كانت تفكر ما الذي جعلها تفعل ذلك.. ؟!!
لماذا عاندت زوجها هذه المرة و بهذه القسوة ؟!!
هل من أجل (.................تسعة) فقط؟!!
نعم ..!
أم لا؟
نعم و لا..
نعم لأن (.................تسعة) تلقت الكثير من الضربات و الآلام و الأوجاع ..
لم يوجد من بين معارفها من تحمل أو تلقي كذلك ،
و لا ....لأنها تركت عملها من أجل الزوج و الأولاد ، وضحت بأن يكون لها كيان مستقل بدون أي دخل نقدي خاص بها.. كل مرة تتناقش مع زوجها ترضخ في النهاية..لمصلحة البيت و الأولاد.. و قليلا ما كان زوجها على حق لكنها كانت تحبه بشدة.
أرادت أن ترى (.................تسعة).. و إن تحطم هذا القيد الذي تقيدت به ،
قيد الطاعة..
الذي تتكبل به كافة نساء الدنيا..
تختلف الثقافات و الأعراف و العادات و التقاليد.
و يبقي قيد الطاعة هو العامل المشترك في جميع أنحاء المعمورة..

منهن من يهربن منه بالأنحرافات الجسدية (الخيانة) ، و منهن من تكسره بطرق غير مهذبة ، كعدم إحترام الزوج و إمتهانه أمام أولاده و المجتمع ، ومنهن من تهرب منه بأن تقنع نفسها أن هذا هو دورها في الحياة ، و منهن.. و منهن..

و منهن من تصل إلى قناعة مع زوجها بإتفاق مبرم و على حسب تربية الرجل و قناعاته.

هل الطاعة قيد؟!

نعم إذا كانت فوق الطاقة ،

و لا إذا كان بمحبة و يوجد طاقة للتحمل ،

الطاعة لابد أن تكون بشروط..

ألا يفكر الزوج أنه اشتري جارية دفع فيها مبلغا من المال.. لتغسل و تتطهو و تقوم بكافة الأعمال .

أن يعرف أنها إنسان مثله .. أن لها طاقة محدودة في بذل الجهد ، و لها متطلبات..و الراحة حق لها كما له ، و يمكن أن تصيب و تخطئ مثله ، لا أنها دائما مخطئة و هو دائما مصيب. و إن عقلها يمكن أن يكون أكبر من عقله في بعض المواقف ، و رأيها يمكن أن يكون أفضل من رأيه في بعض المواقف إيضا .

هي كائن حساس يجب أن يتعامل برفق..

هي أنبل منه..هو خلق من طين يهتم بالماديات..أما هي خلقت من دم و لحم الأولوية عندها للأحاسيس و المشاعر.. و أنه شريك لها في كل شئ ، بل هي خلقت له معينا و نظيرا ، و الرب خلقها من جنبه ، و لم يخلقها من رأسه حتي لا تعلو عليه. و لا من قدمه حتي لا يعلو هو عليها .

أما المرأة فيجب أن تعرف أن الرجل هو رأس للجسد..و أنها هي الجسد. و الجسد به الرقبة التي تحرك الرأس ، فينبغي عليها أن لا تكون رأسا أخرى للجسد..

لئلا يتناطح الرأسان.. فيضيع الكائن المتكون من رؤوس فقط و تضيع الأسرة التي هي أساس المجتمع..

و لا ينبغي أن يكون الرأس جسدا و الجسد رأسا إلا في حالات نادرة.... الطاعة مطلوبة لكن في حدود الله..

أنا أعرف زوجي و (هي تحدث نفسها سرا..)
سيعاتبني برفق..أعرف أنه سيقدر ما أنا فيه؟ تعلّم أن يعاتب بهدوء منذ تخطي الخمسين

وصلت لبيتها
قابلها زوجها بالأحضان..
و اطمئن على صديقتها و فكر بالعودة ليعيش في مصر..
أبعد أن تخطي الخمسين هو و ماريز تكون العودة؟!
هي أصبحت كاتبة مشهورة ، و عملها في إنتظارها أما هو فماذا سيعمل ؟ و هل ستترك أحفادها ...؟! هذا أمر صعب.

" إلي رجّلك يكون أشتياقك و هو يسود عليكِ"

الباب الثالث
الفصل الخامس
الخريف

رصاصة في رأسي..
(.................تسعة) في المشفي
حينما جاءت الرصاصة إليّ على غفوة..
كأن طائرة إيرباص ركاب إستقرت في رأسي بكل ما فيها ، ثقلها و ركابها بأفكارهم..
لكن تخيل أن ثقل الطائرة خفيف لا يذكر بالمقارنة بأفكار البشر.
و أنا أرقد هنا بعد التجول بالطائرة أعود أعيش ما حدث لي..
كالحادث الذي تعرضت له من قبل..
و أصدقائي على الفيس بوك..
لعله الخريف أتي.
خريف عمري..
و آن الأوان للرحيل..
هل سيكون شتاء أخر؟!
أم أنه الخريف الأخير؟.
الخريف في فهمي له رونق خاص ، الأوراق تتساقط و الشجر يكون بلا ثمر ،
لكن هناك بعض الأشجار التي تحتفظ ببعض من ثمارها ،
هذا الذي يكون مثقل بنوم في الأوان و ينمو نموا بطيئا على استحياء ،
يتأخر عن أوانه فيكون له كرامة أعظم ونكهة أجمل ،
قليل هذا النوع من الشجر لكنه موجود..
في الخريف التجدد..
كي تثبت الشجرة أنها مازالت قادرة على الإثمار..

و بقدر تجرد الأشجار في الخريف بقدر عطائها في الموسم القادم.
تتعري الأشجار كي تلبس ثوبا أجمل..
هكذا نحن نتعثر لنعود أقوي مما كنا..
ننكسر لنجبر ما هو مكسور فينا و لا نعيره اهتماما ، أو ربما لا نعلم إنه مكسور.
نمرض لنعالج النفس مع الجسد..
و تلك الأوراق التي تسقط تكون لتجدد التربة التي تأخذ منها الشجرة العذاء ، و قد تتطاير الأوراق لتغذي منطقة أخرى.
وقت ضعفنا نري من هم أقل منا ، نري صغار النفوس و المنكسرين ، نشعر بهم و نقدم لهم المساعدة التي لا نقدمها حينما نكون أشداء.
الخريف عطاء..
و كم من توبة نقدمها في المرض..
و كم من وعود نعد بها الله إذا مر الخريف بسلام...
"الخريف فرصة للتوبة"
مرة تجردت مثل الأشجار..
تجردت تماما من الصحة..
ظللت ثلاثة أشهر لا أقوي على أي حركة.
وقع حائط فوقي..كان أحد الإحتفالات الدينية..و اعتذرنا لأحد المضيفين..
و لبينا دعوة من أحد الأقارب لقضاء اليوم بمزرعته.
اشتراها حديثا ، ويريد مشاركة أحبائه الفرحة . مازالت أرضا فضاء..و يستعد لزراعتها.. و قد بني في نهاية المزرعة بئرا بقطر ثلاثة أمتار و أرتفاع سته أمتار ، مدفون منهم تحت الأرض أربعة أمتار ، و مازال متران فوق سطح الأرض ، المهندس الذي بني البئر لم يكن له خبرة. كان من المفترض أن يضع سِملاً و يبني عدة صفوف من الطوب الأحمر ، ثم يضع حديدا ويصب أسمنتا ، ثم يبني و هكذا..إلا أنه وضع سِملاً و أكمل البناء بالطوب الأحمر فقط..مع إمتلاء البئر بالماء الحائط لم يتحمل ضغط الماء فانفجر..تماما كالبشر ، فقبل أن تضغط ضع أسسا صحيحة حتي لا ينفجر الناس فيك.

لبينا الدعوة و ذهبنا للمزرعة في ثلاث عربات كبيرة ، الأهل و الأحباء و المعارف..كانت الأراضي شاسعة معظمها باللون الأصفر الذهبي..إلا قليلا باللون الأخضر ، كان الجو معتدلا إلى حد ما ، و الشمس ساطعة غير حارقة ، و رياح الخماسين تأتي من وقت لآخر ضعيفة ، كانت تأتي دوارة تدور بشكل اسطوانة من الهواء و بداخلها أوراق الشجر الخفيفة و بعض أكياس البلاستيك ، ترفعها إلى أعلى في السماء ، جلست جميع النسوة على أول المزرعة لنعد الطعام.. وذهب جميع الرجال لملئ البئر بالمياه ليجربوه.. و حفروا أطنانا من الرمال الصفراء حتي وصلوا للصنبور ، و فتحوا صنبور المياه..و لأن اليوم احتفال و لم يوجد من يروي أرضه ..

فكان تدفق المياه شديد و مُلئ البئر بسرعة ..تسربت بعض النسوة لتلحق بالرجال..و معهن بعض الأطفال..

و أراد ابني الصغير أن يلحق بهن... فجاءت إحدى رياح الخماسين ، وأخذته داخل اسطواناتها و دارت به عدة مرات لأنه كان صغيرا و ضئيل الحجم ، جريت خلف الرياح لأسحبه منها و ما إن وصلت إليها قذفته إليّ كأنها تقول لي تفضليه.

خفت على ابني لئلا تلتقطته رياح دوارة أخرى ، فاصطحبته إلى أبيه ، وعندما وصلت إلى البئر أيقنت أن البئر سينهار..أخبرت المضيف ...فأمر بردم ما تبقي من حول البئر.. حتي يتعادل مع ضغط المياه ..كنت أزيح الرمال إلى البئر بيدي و ظهري له ، فجأة أنفجر البئر و أنا أسفله.. وقع الحائط على ظهري..من قوة السقوط غرس جسمي في الأرض.. و الماء أعلى مني ، نظرت لأعلي ..

وجدت حبيبات الرمل تلمع في المياه كأني في عمق محيط به ثلج أو في الفضاء الخارجي و النجوم حولي .. سلمت أمري لله و قدمت التوبة و طلبت الغفران..و كتمت أنفي بيدي و أغلقت فمي حتي لا تدخل الرمال إلى رئتيي ، و بعد فترة ربما تكون دقيقة ونصف..نزل الماء من فوقي مرة واحدة..في لحظة واحدة.. فصرخت كالوليد الخارج من رحم أمه.. و كأني

أولد من جديد.. اجتمع الرجال و أخروجني من أسفل الحائط.. كانوا ثمانية و عشرين رجلا.
و كلما أمسكت يد إحداهن لأوصيها بأولادي كانت تسحب يديها من يدي قبل أن أكمل كلماتي و تجري كأن سيمسسها وباء.. جميع النسوة الحاضرات فعلن ذلك لم تكن واحدة منهن تريد الجلوس بجانبي.. كنت أظنها النهاية. ما أقربه الموت ...
كيف سأنجو و الأرض مترامية الأطراف و المشافي ليس بها أحد..و إن كان... ، من سينقلني من هنا ، استحالة أن تدخل السيارات بين الرمال و لا يوجد سيارات دفع رباعي هنا ، و إذا تم نقلي يدويا حتما سأموت.
لكنها عناية الله...
أتصل المضيف بأصحاب المزرعة المجاورة و كان بها أربعة شبّان ، فجاء اثنان منهم بسيارة ربع نقل لوحتها بها رقم ثمانية و ألفان (ألفان و ثمانية) ، و يبدو أن هذه الحوادث كانت شائعة ، فتعامل الشابان معي كما لو كانا طبيبين ، جاءا بالسيارة في الأراضي المزروعة ، و معهما قطعتة مشمّع (مُجلفن)استخداماها كنقالة ، و اتصل أحد إخوتي بأحد أقاربنا و كان ضابطا توا عائدا من عمله ، نزل إلى المشفي و أحضر الأطباء ، وصلت المشفي و إذ (بكونسولتو) أطباء بانتظاري .و هو أيضا بانتظاري مع زوجته المباركة جاءت بملابس لي ، و جلست بجانبي تعزيني و تقويني و تمسك بيمني ، لم أوصيها على أبنائي لأنها بعيدة عني و تنتقل كل عدة سنوات من بلد لبلد أو بالأحرى قد تعلمت الدرس.
في غضون الثلاثين دقيقة كنت بالمشفي ، كان أنجيلوس ينتحب و يطلب من الله نجاتي..الأمر الذي لم يعجب النسوة فنهرنه ألا يبكي ..لأنه لا يصح أن يبكي رجل على امرأة. عاهد الله في تلك اللحظة أنه لن يظلمني مرة أخرى.. و لن يجعلني حزينة أو مجهدة أو متضايقة مرة أخرى..و سيملأ قلبي من السعادة التي حرمت منها طوال عمري إن عشت و تجاوزت التجربة بسلام.
و قد استجاب الله .
لكن أنجيلوس بعدما فات من الزمن نسي وعده لله.

قبل الحادث كنت قد فقدت الثقه في نفسي و ندمت على زواجي ، و بعد التجربة تساءلت لماذا سمح الله بتلك التجربة؟! ، ظللت بعد الحادث حوالي ثلاثة أشهر في الفراش..
لم أجد بجانبي إلا زوجي الذي خدمني بأمانة و بمحبة و بدون تذمر ...
كان يطبخ الطعام ، و يحمم الأطفال ، و يغير لهم ملابسهم..
أحيانا كان يذهب لعمله في المدنية التي يعمل بها و يأتي في نفس اليوم ليخدم بيته و يخدمني في الصباح إلى عمله .ساعتان ذهاب و ساعتان عودة.
أما الأهل... الأحباء.. الأصدقاء .. فلم نرهم ، حتي أقرب الأقربين ، كانوا يأتون كالغرباء .هؤلاء الأصدقاء و الأحباء الذين لم أكن أفارقهم..
و أما الغرباء ..
وجدت منهن من هن أقرب و أجمل و أعظم..
كم من سيدة أتت و عرضت المساعدة..
كم منهن أتت و معها طعام لأبنائي..
و كم عطفوا و وقفوا بجانبي..
و كم من رجل أرسل زوجته مرة ، و مرتين ، و ثلاث..
و جاء هو معها..
أمي أيضا تعبت كثيرا معي ...
و جارتي العجوز..
التي دخلت و وجدتني أبكي على الكرسي المتحرك..
و لما عرفت أنني أريد أن أتحمم ، و طلبتُ من إحدى قريباتي و رفضت بحجة أنها لم تخبر زوجها بخرجها من البيت لأنه مريض جداً ، و تركتني و مضت..
قامت جارتي و حممتني.
و كان لي صديقة كانت تأتي يوما بعد يوم تحممني متي احتجت ،
إن التعري أمام الغرباء أمر ليس بهين..إنه من العظائم.
أصلي حتي اليوم من أجل كل من وقف بجابني.

حماتي أيضا وقفت بجانبي و عضدتني..و في يوم من الأيام من شدة ألمي لم تتحمل رؤيتي أتالم.. فذهبت إلى إحداهن تطلب طبيبا فأجابتها" لا تقلقي يا خالتي أنها بصحة جيدة و هي تتدلل لأنها ترى محبة زوجها ، الطبيب أخبرنا أنها بخير".
الطبيب المعالج الذي لم يكلف نفسه برؤيتي ، و اكتفي برؤية الأشعة ، قال لهم أنني بخير و أني اتدلل عليهم.الطبيب ...هو الذي قال .
كفكفت حماتي دموعها .. وعادت إلى بيتي و هي في طريق العودة سألت عموم الناس عن طبيب و ذهبت إليه و أحضرته..جاء الطبيب و كان ممارسا عاما.. جاء وجلس بجانبي و طمأنني و أوصى بعدة أدوية ، و وعدني ذلك الطبيب أنني سأعود إلى حالتي الطبيعية قريبا ، و أنني من الطبيعي أن أشعر بهذه الالآم ، لأن الكسور في عدة أماكن ، و هذا وضع مؤقت..
أخبرتني حماتي بعد ذلك بفترة بعدما قمت من ذلك الخريف ، و أوصتني ألا أعود كما كنت ..لأن ليس لهم فيّ محبة ، و إذا كان الطبيب قد قال الحالة جيدة فهم الذين أخرجوني من أسفل الحائط ، و عندما عاتبت هؤلاء الأحبة لتركهم لي ، أجابوا بأنني لم أخدم أحدا و لا ينبغي أن أعاتب.. فعلا العتاب لمن يستحق العتاب.. خرجت من هذا الخريف و أنا مُحبة أكثر لزوجي و كلما قسى على أذكر محبتة في تلك الفترة.. ومتصالحة مع أمي و حماتي..وأ عرف قدر محبة أولادي ، و مع مَن مِن جيراني أتعامل؟ ، منهن من كانت تسأل كل يوم و منهن من لم تسأل بكلمة واحدة... و مَن مِن صديقاتي صديقة بحق؟ و من منهن صديقة المصلحة؟ اعتزلت المجتمع الذي لا يستحق حتي التحية للمرة الثانية ، لكني عدت بفضل حبات الملح الذي لا يصلح المجتمع إلا بهم..
و عرفت "أن الدنيا دار شقاء و تعب و ألم و كفاح و جهاد و صبر و مثابرة ، الدنيا ليست داراً للراحة"
و إن "هناك من يكرهك بسبب ناجحكَ".
و إن لأبد لكَ من خريف لتتجدد حياتك".
"يعطي المعيي قدرةً و لعديم القوة يكثر شدّةً ".

الباب الثالث
الفصل السادس
الفيس بوك

و أنا أتجول هنا داخل عقلي..

وجدت الفيس بوك و الشبكة العالمية للإنترنت ، كانت شبكة واحدة ليس مثل الآن كثيرة و متعددة ، و كانت شبه مجانية. ذلك الشئ الذي أصبح نعمة لكثير من الناس. بل هو نعمة لكل الناس.

و لكنه قد يكون سببا لحسن الآخرة ، أو سببا لسوء الآخرة ، على حسب الاستخدام.

حينما فتحت حساب فيس بوك ، بدأت بتكوين صداقات. و تلقيت عدة منشوارت ، و بدأت أعرف.. و بدأت أفهم..

أن الدنيا العابسة ، ليست عابسة في وجهي وحدي ، هناك الآلاف مثلي. ومشاكلي هي مشاكل جميع النسوة..

ومنشورات صفحة "يوميات زوجة مفروسة" ، تقريبا أنا التي كتبتها كلها بيد نساء أخريات مع أني لم أكتب منشورا واحدا ، كانت كلها تعبر عن حياتي ، من إتكال أولادي عليّ ، و الزوج الذي يريد بيته و زوجته و أولاده(على سنجة عشرة) دائما ، و الذي لا يكلف نفسه بعمل كوب شاي لنفسه ، أو يرفع كوبا من مكانه ، أو يحضر ملابسه لنفسه ، أو يذاكر للأولاد ، أو يفي بوعده في النزهة التي و عدَنا بها و لو لمرة واحدة ، و إذا خرجنا يأتي الشجار ، لا نعرف من أين؟!

عرفت أن رجلي هو كل الرجال ، فتعزيت و هدأت أعصابي ، و عرفت أنني من جموع المقهورات فكففت عن التذمر و التأفف و خففت من عصبيتي.

و من شبكة الإنترنت عرفت أشياء جديدة و جميلة.

في جميع نواحي الحياة..

في الملبس..و طهي أنواع جديدة... و زراعة الأسطح...تسريحات شعرلابنتيّ.
و طرق مذاكرة للأولاد...و تزيين البيت و الطعام...و التفصيل....و غرز جديدة في (التريكوه) و (الكوروشيه)... و أفكارا لإعادة التدوير... كطرق الإستفادة من الجوارب (الشرابات) القديمة ، ألبسه في يدي و أنظف الأجهزة ، أو أصنع عروسا منه . و زجاجات المياه الغازية للزراعة فيها ، بناء بيوتا منها.. استخدامات عديدة بقدر أبداعات البشر.. و طرق الإستفادة من كل شئ .
و بالإنترنت و جدت صديقاتي القدامي و جمعتهم في مجموعة واحدة و أصبحت أكثر سعادة بهم...أكتب كل صباح "صباح الخير يا بنات" كلهن يرونها ، قد لا ترد إحداهن أو جميعهن ، لكن يكفيها أو يكفيهن أن ترى هذه الجملة كل صباح مني ، أو من إحداهن نخفف العبء عن بعضنا ... و نطلب النصيحة فنجد ردا شافيا ، منا من تزوجت مبكرا ، و منا من تزوجت متأخرا ، فنسكب بعضنا علي بعض من خبراتنا ..يكمّل بعضنا البعض ..لم ير بعضنا بعض لكن يكفي أننا نتواصل بطريقة أو بأخري..
هي السعادة.. و سعادة أكبر حينما نلتقي.
أقرا ما تكتب ماريز و أعلق عليه أقول رأيي أو أكمل بسطر أو سطرين.
تعرفتُ على أدباء لهم وزنهم ، منهم من يضاهي العقاد ، و من هو بسيط في أسلوبه مثل إحسان عبد القدوس.. أدباء و شعراء من الوزن الثقيل.
أحيانا أجد نفسي كالطفلة لا أفهم ما يكتب فأطلب التفسير ، و أحيانا أستوعب كل ما يكتب .
الإنترنت بالنسبه لي عالم جميل ملئ بالسعادة..
يخفف الضغط على بفيديو ضاحك أنسي همومي معه ، و من الجائز أن يأتي فيديو ينتزعني من همي بالقوة.. بالنت رأيت مآسي العالم و شكرت الله على أمن بلادي...
كالذي يفعله الوثنيون بمسلمي ميانمار ، و الذي يفعله داعش بالأيذيديين و المسيحيين و الملسمين ، و الذي تفعله بوكو حرام بالمسيحيين...

تلك الأخبار و الفيدهات و الصور الشنيعة التي توضح مدى قبح السياسة ، لم أراها إلا على الإنترنت.
الإنترنت صديق و صديق أمين في الخير و في الشر .. لا يبخل بالنصيحة ، مهما سألت يعطي..و يعطي بسخاء..العالم مفتوح أمام الجميع...
أسواق ، أخبار ، ثقافات ، و دين ، الدين كامل هنا..
و يوجد محركات البحث التي تعلم و تسأل عن أحتياجاتك...
هل تريد اختبار إيمانك ؟
كافة الأديان بكافة كتبها و كافة طقوسها هنا .
لا تعرف كيف تصلي؟ أطلب من الإنترنت يأتي بدل الشرح الواحد ربما عدة ملايين من الصفحات.
تحب مرنم معين أو شيخ معين.. موجود و موجود من هو أفضل منه.
تريد تفسيرا لشخص معين.. موجود.
لا تعرف كيف تقرأ الكتب المقدسة الشريفة ، أدخل و أطلب..
تنسي مواعيد الصلاة.. هنا التطبيقات التي تذكرك.
لا تحفظ الصلاة..التطبيق به كل شئ..به تقسم كتابك على سنة أو سنتين يعطونك كل يوم جزء. ، يعطونك تأملات و شروحات و تفسيرات ، و سير قديسين و أولياء لله الصحالين.
هل تطلب الرذيلة..موجودة و بكل أشكالها و أنواعها..
تطبيق الفيسبوك علمني كيف أتقبل إختيارات الآخر ، و أنه حر فيما يعتقد ، و ليس شرطا أن رأيي هو الصحيح.
و تعلمت ألا أصدق كل ما أقرأ من أول وهلة ، يجب أن أبحث عن الصحيح و ألا أتسرع في إبداء الرأي...
ليس كل ما يقال على الإنترنت صحيح ، الأخبار الكاذبة كثيرة و سرعان ما يتضح كذبها.
الفيس بوك هو الربيع لحياتي ، عرفت كيف أصنع سعادتي عن طريقه ، انطلقت إلى المجتمع من خلاله... أبارك للمتزوجين ..و أسال عن المجروحين ، و أعضد الحزاني و أعزي من انتقل له عزيزا أو حبيبا ، عدت للكتابة التي كنت أحبها مرة أخرى.. و أروي نهم القراءة في كل

مجال أحبه ، أدبا و شعرا و نثرا و قصصا من كل أنحاء العالم : الأدب العالمي من كل بلدة . و كتب العلوم و الإحصائيات و غيرها...
الفيس ربيعي..
أشارك الناس آرائهم و أفكارهم و أناقشهم في معتقداتهم.
أضحك فيه كأني لم أضحك من قبل..
و أبكي حزنا و قهرا على بشر يتعرضون للظلم و المهانة ، كل يوم في صمت عالمي بسبب العنصرية..
المسلمون لا يرون إلا ميانمار ، و المسيحيون لا يرون إلا ضحايا داعش منهم فقط ،
بينما الله يدعو للرحمة و المحبة و العدل للجميع.
الفيس ربيعي..
أعاد إلى ثقتي بنفسي..
و أكتسيت بأروع الألوان و ثمراتي وزعت على الجميع...
ثمراتي محبة و معاونة ومشاركة و خدمة.
أحب الجميع أتمني الخير و الصحة و العافية و التوفيق للجميع.
كما أتمني للجميع.. "طهارة للنفوس و الأجساد و الأرواح و القلوب و العيون و الأفهام و الأفكار و النيات" : طهارة و استنارة للنفس و وجه غير مخزي ، و محبة كاملة و إيمان بلا رياء و رجاء ثابت بالله."
آمين.
" كلَّ الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبّون الله"

الباب الثالث
الفصل السابع
العوالم الأخرى

أنا الآن في أحد العوالم الأخرى ،

و لكن هذه المرة لا أعرف متي سأفيق ، ربما يكون هذا العالم آخر عوالمي الأخرى ، فكثيرا ما هربت من آلام جسدي ، و آلام روحي ، و آلام عقلي ، إلى هذه العوالم..

أول عالم ذهبت إليه هو بيت جيراننا كان بيتا بجوار بيت جيراننا من ناحية الحقول..لم يكن له وجود في الواقع.. كان بيت مساحه ستة أمتار عرض و أكثر من مائتي متر طول.. كان مبني من طابقين..و به ملائكة و شياطين.. حينما أذهب إليه أظل أنتقل بضيق من حجرة لأخرى بالطابق الثاني..

أما الطابق الأول فبه حجرة للفرن و حظيرة مواشي ، و عدة حجرات أخر. و كلما اقترب مني أحد الأنجاس منعه أحد الملائكة (في صورة بشرية)

وحينما نمّوتَ قليلا..أضيف عالم جديد.. ، كنت أرى آخر الأرض الزراعية و على مرمى البصر من الناحية القبلية خلف بيتنا..أرى كأن سفينة ضخمة تمشي على الرمال ، و ربما عده سفن..

أو أرى في نهاية أرضنا الزراعية مبني كمبني الكرملين ، و أمامه عدة مبان ضخمة و فخمة..

بالطبع ليس لأي مما سبق أصل في الواقع.

و حينما دخلت طور الشباب ذهبت في رحلة سياحية إلى مدنية (فايد) ، و هناك رأيت السفن حقيقة كأنها تمشي على الرمال ، عندما تنظر إليها و أنت مازلت بعيد عن الشاطئ ، لا ترى مياه البحيرة ، بل ترى السفن كأنها تمشي على الرمال..



و أحيانا كنت أذهب إلى أماكنَ لا أعرف ما هي و أكلم أشخاصا لا أعرف من هم ...

هؤلاء الناس كانوا يخبرونني بأمور تحدث في المستقبل ، و منهم رجل طويل و كنت أناديه جدي و أنا في الواقع لم أر أيًّ من جدودي..
و لكن هذا العالم انتهي بمجرد معرفتي للتمييز ما هو الصواب و ما هو الخطأ (الناس فقط) ، أما جدي فمازال معي للآن .

و أحيانا كنت أدور حول مدنية في بحر و أنظر السفن و العاملين بها.
و أحيانا كنت أدور في بيوت أشتريتها أنا و زوجي و كنت أتنقل من بيت لبيت ، نبيع البيت لنشتري آخر .. و هذا العالم كان غريبا ، كل مرة أذهب إلية أجد بيتا أكثر اتساعا من الذي قبلة ، و أعيش في البيت الذي ملكي الآن ، أو أطعم طيوره و أنظفه و أطعم أبنائي.

و أحيانا أرى نفسي و أنا متحديةٌ للجاذبية الأرضية ، بأن أملأ رئيتي من الهواء ، و أضع قوتي في عزمي و أطير في الهواء ، و أنتقل من شجرة لأخرى بأن أمسك أغصان الشجر و استخدمها للتنقل مثل طرزان.
و أحيانا أحدث اشخاصا ظلموني و اسئلهم لماذا فعلتم هذا؟!
لكنهم لا أحد يجيب عن أسئلتي؟
ليني كنت سألتهم في الحقيقة - كنت استرحت كثيرا..

و أحيانا أكون ضائعة تائهة - أو أنني سأذهب إلى امتحان الثانوية العامة و أنني دخلت امتحان مجموعة من المواد و أذاكر لأكمل امتحاناتي- أو أنني حافية أو عارية و ألبس ملابس فضفاضة أو أنني أسقط من ارتفاع لهوة -أو اصطدت سمكا كثيرا - أو أحد ما أعطاني نقودا أو أشياء- أو أعوم في مياه غارقة - أو أحدُ أبنائي في خطر و أنقذه- أو أضرب شخصا ما ضربا مبرحا وحالات كثيرة أخرى....
أراقب من خلالها أفعالي و ضميري و أنقي   قلبي من الأحقاد و أجدد ضميري و أحاسبه

أما عن أغرب عالم ، هو أن قناة السويس تجف نهائيا من المياه بسبب مرور السفن ، و أفتش في الأعماق التي أصبحت ضحلة ، فأجد ملاعق و شوك و أطباق و ملابس و ربما أشياء ذهبية ، و أشياء من كل نوع في القاع و أكون على عجلة لئلا تعود المياه فتغرقني.

كل العوالم أقضي بها و قتا طويلا و دائما زيارتي تتكرر ، و العالم الذي أجده في الواقع لا أعود له في الغيبوبة.. يحذف من سجل عوالمي الأخرى ..
مثل منظر السفن..أو شواطئ المدنية المحاطة بالمياه عندما رأيتها في الحقيقة ببورفؤاد ، لم أذهب لها ثانية في إحدى إغماءاتي.
و كثيرا ما كنت أشير إلى حوائط مسمطة ، و كثيرا ما أنزل لها بسلم طويل تحت الأرض لا أعرف لماذا؟ و من هؤلاء الموجودين هناك ؟ و لكن في عالم الإشارة هذا دائما ما يكون خالي معي و كثيرا ما أكون مع خالي و معه كتالوج به ألوان حوائط ، أو مجموعة من البورترهات ، أو قطع ملابس معلقة على الحوائط و أشياء من هذا القبيل كثيرة ، و يطلب مني الرأي أي لون مناسب ، و أي (بورترية) و أي قطعة ملابس أحب؟ فكنت أختار فكان يفرح باختياري جدا.
"لأنّ الربّ يفحص جميع القلوب و يفهم كل تصورات الأفكار "

الباب الثالث
الفصل الثامن
غوص في العقول

أما الآن فأنا في طائرة (إيرباص) ضخمة أو بالأحرى هي التي فيّ ، بها عدد كبير من البشر ، أتنقل بين عقولهم و ضمائرهم و نياتهم ، هذا يود و ينوي على القتل ، و هذا على الفجر ، و هذا على السرقة ، و هذا على الإحتيال وأكل مال اليتم ،
و هذا و هذا و هذا...
عقلي يؤلمني.. أود أن أنهي أيامي هنا .. أود أن أرحل من الدنيا..

مهلا هناك من يطلب المناقشة
لا أرى وجهه و لكني أسمع صوته بوضوح
الصوت:- لماذا؟!

(..................تسعة): من بشاعة ما أرى في قلوب و عقول البشر.
الصوت:- أكملي الجولة يا (..................تسعة) ..
أنظري هنا..
(..................تسعة):- فملت لأنظر..
هذا في قلبه محبة للجميع.
و هذا خيرٌ وخدمة للجميع.
و هذا تضحيةٌ من أجل أناس لا يعرفهم.
و هذا عطاءٌ للغريب قبل القريب.
و هذا تفان في أعماله و في حب بلاده.

(.......تسعة): قد وصلتُ نهاية الطريق ، أريد أن أرحل.



الصوت: كل إنسان له مهمة على وجه البسيطة و مهمتك لم تكتمل بعد.
(.......تسعة): أبعد كل هذا لما تكتمل ؟!!
الصوت: نعم.
انظري....
فنظرت (.........تسعة) فوجدت عددا لا بأس به ، يلبسون ملابس باللون الأبيض ، وأحذية من جلد ، و أعمارهم متباينة و يعطونني التحية.
(..........تسعة): من هؤلاء؟!
الصوت :هم في انتظار تعليماتك
(..........تسعة): تعليماتي أنا...؟!!
أين أنت..؟!
من فضلك أجب
يبدو أنه ذهب.

ماذا أفعل الآن ؟!
أنا في حيرة من أمري
أرحل أم لا.. ..
أعلم أني...
أكملت السعي ..
حفظت الناموس..
و لا أعلم إن كان وضع لي إكليل البر أم لا..
و لا أعلم إن كان لي ميراث صالح أم لا..
لست قادرة على إتخاذ قراري...
فهل من مساعد...؟!
" قبلما صوّرتك في البطن عرفتك ، و قبلما خرجت من الرحم قدّستك"

الباب الثالث
الفصل التاسع
استلم المهمة

ربما لم تعد لي القوة على القصص
استلم أنتَ المهمة و هيا ....
أكمل /أكملي.. عني قصتي أو ربما تكون قصتك أنتَ تتطابق مع قصتي
أنا لم أكتب إلا قشورا..
مجرد مفاتيح للأحداث والشخصيات..
اسالْ احلمْ تخيلْ و أكملْ ...
لعلكَ تنتج مسلسلا من (تسعة) أجزاء لا يمل منه الناس.
تخيل لماذا ضُربتُ بالرصاص؟!
من كان يحاول قتلي منذ الطفولة ؟ وهل سينجح الآن؟
من حاول التحرش بي؟
اكتب تفاصيل المواقف و الأحداث أو عن أشياء ضاعت مني.
اكتب يومياتي ببيت الضيافة ببورفؤاد.
و يومياتي بالجامعة.
قارن أخلاق قريتي حين ولدت و الآن..
اكتب ليلة مولدي.. و متي سينتهي عمري..
اكتب ما حدث لي في عالم العمل..
و تفاصيل حياتي..
تخير موضوع تم ذكره و أكمله..
أو اكتب عن قضية
اكتب عن الدين.. الإلحاد..
عن القيم ..و الشذوذ.. أو الإدمان ..
اختر مرحلة من حياتي و اكتبها..

تخيل نفسك أحد أشخاص القصة و اكمل..
تخيل نفسك عمي أو خالي أو أخي أو أحد والدي أو ابني أو خالتي أو عمتي
و اكتب...
اكتب هل سأنجو أم لا..؟!
إذا عشت سوف أكتب كافة التفاصيل بكل دقة ، و ليكن هذا الجزء الأول..
لكني أود أن تكتبَ أنتَ .. و لنبتكر نوعا جديدا من الأدب و نسميه " الأدب التكميلي"
و إن لم تسطيع الكتابة .. تخيلني كل مساء و أكمل قصتي برأسك...
و لأكن أحد عوالِمك الأخرى.. ضعني ضمن الأشياء التي في ذاكرتك و ذكرياتك و لأكن آخر ما تفكر به بيومك كرقم (تسعة)... و لأكن صديقتك (..................تسعة) تحاكيني في الليل..
و تعود لتحدِّث محبيك في الصباح عن القصص التي تبادلتها معي و تقول...أمس قالت لي...
صديقتي (..................تسعة) ....
"مكملّين بعضكم بعضا"

تمت بمعونة الله
إلى لقاء الجزء الثاني

المراجع

1 الكتاب المقدس.
2- كتاب الخولاجي.
3- كتاب السكنسار (سيرة القدسين- 6 توت).
4- https://st-takla.org/articles/fr-botros-elbaramosy/a/hous.html

سيرة ذاتية

سميره ارميا جرجس يوسف
العنوان: القنطرة شرق – شارع العريش- عزبة ناصر – خلف محمكة الأسرة القديمة
تليفون:01229533864 & 01090458217
البريد الإلكتروني و حساب فيس بوك :-
Samiraa1973@yahoo.com & Samiraa1973@gmail.com
https://www.facebook.com/pdfkutub?fref=ts

تاريخ الميلاد : 1973/2/17
الجنسية : مصرية
الحالة الاجتماعية : م+2
الوظيفة و الوظيفة حسب الكادر و الدرجة المالية :
رئيس قسم تطوير تكنولوجي بإدارة القنطرة شرق التعليمية - معلم أول أ - 2012/9/1 . الدرجة الأولي
المهارات ذات الصلة:-
مهارات الإتصال و التواصل – مهارة تكوين فريق- مهارة إدارة الاجتماعات - مهارة إدارة الوقت.
المهارات الفنية:-
دراسات متخصص في مجال الحاسب
Software &Hard ware computer sciences

التعليم:
1- شهادة بكالوريوس تكنولوجيا تعليم و التربية عام 1995 . تقدير جيدٌ جداً.
2- شهادة دبلوم خاص في التربية عام 1997 . تقدير جيدٌ

3- شهادة ICDL .
4- شهادة INTIL TEACH .
5- شهادة مهارات القيادة لمديري المدارس.
7- شهادة أسياسيات التوجيه الفني.
8- شهادة تطبيقات الإدارة التربوية لمديري و وكلاء الإدارات التعليمية .
9- شهادة MTA NETWORK.
10- شهادة MOS-POWE RPIONT.
11- شهادة MTA SQL.
12- شهادة MOS WORD.
13- شهادة دبلومة IT CAMBRDAGE .
14- شهادة MOS ONE NOTE.
15- شهادة MAT SECURITY .
16- شهادة ADOBE PHTOSHOP.
17- شهادة AUTOCAD.
18- الشهادة الهندية MICIT.
19 – شهادة بكالوريوس العلوم اللاهوتية.
التدريبات:-

THINK QUEST@THINK.COM
MOS- DLO- MULTI MOUSE- ACTIVE STUDIO- -
OFFIC365

أخـــــــــرى:
- تم الأعتماد وكيل إدارة تعليمية بحضور اللجنة المشّكلة و في انتظار مكان شاعر لشغل الوظيفة.
-تم الإعتماد مدرب معتمد IT لدي الأكاديمية المهنية للمعلم.

محتويات الكتاب

الباب الأول

الباب الثانى

الباب الثالث
